

الدكتور ضيف الله محمد الأخضر

أستاذ بجامعة وهران

محاضرات في

النهضة العربية الحديثة

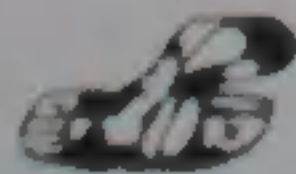


ديوان المطبوعات الجامعية

الجزائر 1980

الدكتور ضيف الله محمد الأخضر
أستاذ بجامعة وهران

محاضرات في النهضة العربية الحديثة



ديوان المطبوعات الجامعية

الجزائر 1980

الباب الاول ما قبل النهضة

الفصل الاول : المشرق العربي

ينقسم العصر الذي سبق النهضة العربية الحديثة في المشرق العربي الى فترات ثلاث

الاولى : تبدأ بسقوط بغداد سنة ١٢٥٨م على يد المغول بزعامة هولاكو .
الثانية : تبدأ بهزيمتهم على يد المماليك بزعامة السلطان قطز ، وقائده بركس في معركة عين جالوت سنة (١٢٦٠م) .

الفترة الثالثة والاخيرة ، تبدأ بهزيمة المماليك على يد الاتراك العثمانيين بقيادة سليم الاول سنة (١٥١٧م) وتنتهي سنة (١٧٩٨م) بمحيي نابليون الى مصر .

الفترة الاولى : ظهور التتار .

في سنة ١٢٥٨م فوجي العالم الاسلامي بدخول التتار بغداد بقيادة هولاكو . وكان هذا القائد قد راسل الخليفة العباسي المستعصم بالله سنة ١٢٥٧م بدعوه الى الاستسلام قبل فوات الوقت ، ولكن الخليفة لم يحبه ، فكان ان (طلت محاسن المغول تقذف فلاع بغداد وحصونها مدة اربعين يوما حتى احدثت فتوة في اسوارها ، وعندئذ ادعن الخليفة وخرج لمقابلة هولاكو ، ومعه اقاربه وسلمه مدينة بغداد ، واضمر هولاكو القدر للخليفة ومدينته ، فامر باخراج الجند الخلفي خارج بغداد ، حجة احصاء عددهم ، ثم ابرل بهم القتل جميعا . وفي صباح اليوم التالي اباح هولاكو بغداد لجنده ، فانتشر المغول في احيائها . (١)

(١) الدولة الاسلامية ، تأليف : عبد الحميد العبادي ، محمد مصطفى زيادة ، ابراهيم

ان اكتساح المغول للمملكة الاسلامية - كما يقول حرجي زيدان قد اذهب ببقية العصر العربي، وهدد آداب اللغة العربية بما اتاه اولئك الاقوام في اثناء حروبهم من التخريب والحريق، لانهم كانوا اذا فتحوا بلدا قتلوا اهله وسلبوا ما فيه واحرقوا ما لا يستطيعون حمله، وهدموا المآثر (١٠) (١)

نرح هو لا، المغول من مغولية ومن اجزاء من منغوليا وروسيا وكونوا وحدة عسكرية تحت رعاية جنكيز خان (١١٦٧/١٢٢٧م) الذي ظهر على مسرح التاريخ سنة ١٢٠٦ بعد ان استولى على مغولية ثم اتجه الى الصين فاحتل اجزاء منها في سنة ١٢١٣ ثم استطاع ان يستولى على اكثر اراضيها، ثم اتجه بعد ذلك الى تركمان وافغانستان وايران وجنوب روسيا، وبعد وفاته تقاسم ابناءؤه الثلاثة ممتلكاته، وساروا سيرته في السطى والتخريب، وكانوا يشعرون بان المغول قوم لا يشهرمون.

في هذه الفترة المغولية، كان الصليبيون لا يزالون يفلول جيوشهم راضين على المدن العربية الساحلية، ولذلك عزم هولاء ان يستولى على بقية الاراضي العربية بلدا بلدا.

الفترة الثانية : ظهور المماليك .

في هذه الفترة التي كان فيها المغول والصليبيون في المشرق العربي، تلاأ بحم المماليك بعد ان استخلصوا مصر من يد الاسرة الايوبية لانفسهم، وبرهنوا على اسمهم أبطال زمانهم، وكان زعيمهم السلطان قطر قد رأى افعال المغول وبطشهم بالمسلمين، فامر في اذن قائده بيبرس بان الانتصار على المغول ممكن ان عمد الى حيلة حربية وطبقها كما يجب، وكانت الخطة ان يناوش القائد بيبرس قوات هولاء ببلدة غزة وان يقوم السلطان بمفاوضة الصليبيين ليسمحوا له باختراق الحدود الساحلية لساغت المغول (ونجحت المفاوضات على الرغم من تفضيل الصليبيين محالفة المغول ضد سلطنة المماليك)، وبذا استطاع قطر ان يصل الى مدينة بسان في سهولة وسرعة، وان ياخذ المغول عند عين حالوت على حين غرة سنة (١٢٦٠) (٢) .

ولولا هذه الحيلة التي لجأ اليها السلطان قطر لما استطاع بيبرس ان ينتصر على المغول بمفرده . (٣)

(١) تاريخ آداب اللغة ج ٣ ص ١٢١

(٢) الدولة الاسلامية، ص ٢٨٧

- (٣) ومع ان السلطان قطر قام بهذا العمل الجليل فان بيبرس اغتال السلطان في كمين نصبه له وهو عائد .

وقد حقق المماليك بهذا الانتصار عدة اعتبارات . أهمها .

- ١ - انه في الامكان ان يشهزم المغول وغير المغول متى وجدت ارادة .
- ٢ - ان الدولة الخوارزمية التي انهزمت امام المغول لم تكن في المستوى الذي كانت عليه سابقا بسبب انقسامها على نفسها .
- ٣ - ان الدولة العباسية في العراق كانت هي بدورها عاجزة سياسيا وعسكريا . . . ويتضح هذا في ضعف الخليفة حين استدرجه هولاء الى ان دل على الاموال ثم قتله .
- ٤ - ان الدول الاوربية مثل المجر، وبولونيا، وجميع القوى المسيحية بما في ذلك روسيا لم تستطع ان تقف في وجه المغول .

وعلى هذه الاعتبارات يكون المماليك قد انقذوا الامم الاسلامية والامم المسيحية من بطش الهيمنة المغولية، هذا من جهة، ومن جهة اخرى فان المغول بعد انهزامهم أخذوا ينكمشون على انفسهم، ويحتكون بالاهالي، ويمتثلون بهم . ويحرورون الايام اصبحوا مسلمين، فاذا هم يساهمون في بناء حضارة اسلامية رائعة، لا تزال آثارها تدل عليهم .

وفي فترات متعاقبة دب الشقاق بينهم وتحاربوا، ثم انشقوا على انفسهم . فاستقل فرع منهم بتركستان، وآخر بالصين، وفرع ثالث بروسيا، وفرع رابع بايران، واعتنقوا جميعا الدين الاسلامي (وانفرد مغول روسيا بالسق الى اعتناق الاسلام على المذهب السني، ثم انتشر الاسلام بعد ذلك بين مغول ايران على المذهب الشيعي) (١)

اصل المماليك :

كان صلاح الدين الايوبي (١١٣٧ - ١١٩٣) في القرن الثاني عشر الميلادي في اوج عظيمته، بعد ان استخلص مصر لنفسه من الفاطميين، فرأى تراجعا للصليبيين ودخلهم بيت المقدس، ففكر في احسن طريقة يمكن ان يستعملها ضد الصليبيين حتى ينتزع منهم بيت المقدس وغيرها من المدن العربية، فاهتدى الى ان يشتري عددا ضخما من الحراكة والاثراك، وان يدرسهم على الفروسية والفنون الحربية، ثم يرحل بهم في اتون الحرب مع الصليبيين، وقد فعل، وانتصروا على الصليبيين فكان ان انسحبوا من بيت المقدس، وتجهفروا الى سواحل المدن العربية .

وبمرور الايام انقضت الاسرة الايوبية وآل الملك الى هؤلاء المماليك ،
واخذوا يتصرفون في شئون مصر حسب اهوائهم لانهم جلبوا من الخارج ومن ثم فلا
رابطة ادبية او روحية تربطهم بالاهالي . فكان الاهالي في نظرهم رعايا ومجرد
رعايا . واستمروا على هذا النحو الى الحملة الفرنسية حيث اختفوا ، ثم ظهرت بعد
خروج هذه الحملة سنة (١٨٠١) التي لم تدم في مصر الا نحو ثلاث سنوات . ثم
قضى عليهم محمد علي سنة (١٨١١) بعد ان حكموا مصر من سنة (١٢٥٠) الى سنة
(١٥١٧) حين قضى سليم الاول على دولتهم ، (ولكن البكوات المماليك ظلوا قوة
حاكمة يعتد بها ومصدر فتن واضطرابات داخلية) (١) .

الفترة الثالثة: الاتراك العثمانيون .

ان سلالة الاتراك العثمانيين هي نفس السلالة التي عرفناها على عهد
المعتصم (٨٢٣ - ٨٤١) ومن جاء بعده من الخلفاء كالباق (٨٤١ - ٨٤٦) والمتوكل
(٨٤٦ - ٨٦١ م) .

كانت الاوضاع متوترة في خلافة المعتصم . فتن ، وحروب ، واطرها حروب بايك
الخرمي الذي استطاع ان يسيطر على عدد من البلدان الاسلامية مدة عشرين سنة .
وان بيعت في النفوس الرعب والقلق بسبب التخريب والاعمال الوحشية التي كان
يقوم بها ، وقد استطاع ان يهزم بغا الكبير ويستولي على ارضاه ، ويقتل جده .
وحاول ان يهزم زعيم الاتراك الاشقيين ولكن الاشقيين انتصروا على بايك سنة ٨٢٨ م .

ان مثل هذه الاضطرابات اوجت الى المعتصم ان يجلب عددا كبيرا من
الاتراك ، ليستعين بهم على حماية الثغور الاسلامية من الاعتداءات الخارجية . ولم
يكذب ويحقق بعض النتائج الحسنة على ايديهم كفتح عمورية سنة ٨٢٨ م بقيادة
الافشين حتى بدا للمعتصم خطاه ، وندم على ما فعل ، وقال لاحد المقربين اليه :
(يا اسحاق في قلبي شيء ، انا مفكر فيه منذ مدة طويلة . فقال اسحاق : قل يا سيدي ،
فانا عبيدك وابن عبيدك . قال المعتصم : نظرت الى اخي المأمون وقد اصطحب اربعة
انجبوا ، واصطنعت انا اربعة لم يقلح احد منهم ! قال اسحاق : ومن الذي اصطنع
اخوك ؟ قال : طاهر بن الحسين ، فقد رايت وسمعت . وعبد الله بن طاهر ، فهو الرجل
الذي لم ير مثله .



وانت فانت - والله - الذي لا يعتاض السلطان منك أبدا وأخوك محمد بن ابراهيم وابن مثل محمد؟ وأنا فاصطنعت الافشين. فقد رأيت ما صار أمره. واشناس فعشله أياه. وأيتاح. فلا شيء. وووصيف. فلا معنى فيه.

فقال اسحاق: أجيب يا أمير المؤمنين على أمان من غضبك؟

قال: قل.

قال اسحاق: يا أمير المؤمنين نظر أخوك الى الأصول فاستعملها فانحيت فروعها، واستعمل أمير المؤمنين فروعا لم تنجب، اد لا أصول لها.

قال: يا اسحاق لمقاسة ما مر بي في طول هذه المدة أسهل علي من هذا الجواب (١).

ولما تولى الواثق ابن المعتصم (٨٤١ - ٨٤٦) الخلافة خطا خطوة جديدة لم يسبق اليها، اذ توج اشناس واستخلفه.

كانت هذه الخطوة الجديدة التي فاز بها الاتراك سببا في ان يطفوا وان يهيمنوا على الخلفاء ابتداء من المتوكل الذي ذهب ضحيتهم، الى آخر خلفاء بني العباس، فقليل هم الذين نجوا من القتل، أو الخلع، أو السجن، أو سمل الاعين.

الفصل الثاني: مصر قبل النهضة.

تولى زعامة مصر عدد من الاسر، منذ أخذت تستقل عن الدولة العباسية على عهد ابن طولون (٨٧٧) الى الدولة العثمانية (١٥١٧) وجميعهم غير مصريين، سواء منهم الاعاجم أو العرب. وكانت نظرتهم الى مصر تختلف من زعيم الى آخر، بحسب المذاهب والاتجاهات. كان بعضهم ينظر الى مصر نظرة مواطن مخلص لوطنه يدافع عنه وعن لغته، ويشجع ارباب الحرف والفلاحين. وكان بعضهم يرى في مصر ما يراه في مزرعة أو بقرة حلوب، ثم ان هؤلاء لا يتعهدون المزرعة أو البقرة، انما يكون ذلك الى الفلاح، ويأتون اخيرا لينتزعوا منه ثمرة جهده.

وقد أدى هذا النوع من المعاملة السيئة التي كان يعامل بها الفلاح المصري الى تدهور الاقتصاد ونقص في الامكانيات، مما أدى بالمصريين اخيرا الى ان ينقص عددهم، ومن ثم لم يقدروا على مجابهة الغزو الفرنسي ١٧٩٨ والذي يلاحظ ان

(١) طبرى ج ١١ ص ٨ وظهر الاسلام ج ١ ص ٧ وراجع أحمد توفيق المدني في كتابه (حرب الثلاثمائة سنة من ٥٦)



الإمارات اللاتينية بعد انتصارات صلاح الدين

الباب الثاني المغرب العربي قبل النهضة

مقدمة:

يرتبط المغرب العربي بالشرق العربي، وذلك منذ أن وحد الإسلام بينهما، فعلى الرغم من المسافات البعيدة التي تفصل بين أحزانهما، فإن ما حدث في جزء من المغرب في سائر الأجزاء الأخرى، أن ضعفاً فضعف، وأن قوة ففقدت، وقد مر العالم العربي في مشرقه ومغربيه بحالي القوة والضعف في فترتين متعاقبتين، أولاهما كانت فترة انبعاث وقوة، والثانية كانت فترة ركود واستكان، وعوامل القوة معروفة، وكذلك عوامل الضعف.

الفصل الأول: لمحة تاريخية عن المغرب العربي

عاملان أساسان شجعا الفاتحين الأولين على مواصلة الرحل للبرابرة العرب والاسلام على ما أمكن من بقاع الارض، أحدهما ارتفاع مستويات الحروب الاسلاميه، وثانيهما: الرعب الذي كان يغزو قلوب الجيوش الرومانية في المغرب قبل حوص المعارك، ومثل هذا حدث في غزو اسبانية، فطارق بن زياد رحل على الاندلس دون تخطيط سابق، وقائده الأعلى موسى بن نصير، لم يرو عنه أنه خطط في غزو الاندلس بل امتنع من الفتح المبين الذي جاء على يد طارق دونه، وعند الرحمن العافى لم يكن هو ايضا قد خطط في غزوه فرنسا.

فقد فتحت الاندلس سنة (٧١١م) ثم غزت جنوب فرنسا سنة (٧٣٢م) والفترة بين التاريخين قصيرة جداً، والسبب أن المسلمين الجدد، وأكثرهم من البربر، طاب الجهاد لهم مع قدامى الفاتحين، ولذلك استطاع عبد الرحمن العافى أن يسولي على عدد من المدن الفرنسية على مصاف نهر اللوار في سهوله، وكان تخطيطه تخطيطاً عشوائياً، إذ كلما استولى على مدينة فرنسية ترك فيها حاميه صغيرة، ثم انطلق الى غيرها، وقد غنم الشيء الكثير.

كان في هذا الوقت شارل مارتل الذي بعد أكثر فائده فرنسي نفوذاً وشهرة. وقد سئل مارتل عن موقفه من الغزو العربي فقال: ((دعوهم يصنعوا ما يشاؤون)). فهم الآن مساندون، وهم كالسيل الذي يأتي على كل ما يعرضه، وما عندهم من الحماسة والشجاعة يقوم مقام الدروع والحصون، ولكنهم إذا ما انقلبهم الضام وظاب لهم المقام بالسوء الجميلة، وألقوا رماحيه العبيث، واستحوذوا الطمع على

مصر تنفرد عن العالم العربي بميزة الاستقطاب، حتى أصبحت كعبة القصاد لجميع الوافدين اليها، وميزة الاستقطاب هذه لا يمكن تحليلها، هل ترجع الى الاهالي؟ أم الى الاشعاع الثقافي؟ أم الى روح غامض؟ أم الى عدة عوامل مترابطة؟

وايا كان الامر فقد استقطبت مصر عدة شخصيات من أمم مختلفة، وفي ميادين شتى، كان بعضهم ابناً باراً، وكان بعضهم ابناً عاقاً، وفي كلتا الحالتين، كانت مصر هدفاً لسهام الأعداء في كل وقت، وكانت تتحمل ثقل هؤلاء الأعداء، سواء في الداخل، أو في الخارج، فقد تحملت ثقل الصليبيين الى أن حققت انتصاراً تاريخياً باهراً سنة (١٢٥٠م) حين قصت على الحملة الصليبية السابعة، وأسرت قائدها ملك فرنسا لويس (٩) كما تحملت ثقل المغول الى أن حققت انتصاراً عظيماً سنة (١٢٦٠م) وكان أول انتصار يحققه العرب على المغول.

وهذا الثقل استمر بعد الصليبيين والمغول الى عصور المماليك التالية:

- ١ - المماليك البحرية (١٢٥٠ - ١٣٨٧)
- ٢ - المماليك البرجية (١٣٨٧ - ١٥١٧)
- ٣ - المماليك البكوات (١٥١٧ - ١٨١١)
- ٤ - ممالك الأسرة العلوية (١٨١١ - ١٩٥٢)

وكانت مصر مثقلة ايضاً بتلك المعاهدات الدولية التي تتمثل في الامتيازات الأجنبية على حساب الشعب المصري، فبعد أن كانت تتمتع بحقوقها في أول معاهدة لها عقدها صلاح الدين الأيوبي في ١١٧٣/٩/٢٥ مع جمهورية بيزا فاذا المعاهدات التي جاءت بعد ذلك وأولها معاهدة السلطان سليمان القانوني وفرنسا الأول في سنة (١٥٣٥) الى معاهدات أخرى مع عدد من الدول ومنها امريكا سنة (١٨٣٠).

كل هذه المعاهدات أضرت بالاقتصاد المصري، وسببها أن الأجانب أخذوا يتدفقون على الديار المصرية، واتخذوا التجارة ونقل البضائع مهنة لهم في السواحل المصرية، ولما كانت حاجة المماليك اليهم عظيمة في تصريف تجارة الشرق التي احتكروها أباحوا للأجانب الاستيطان في الديار المصرية، والبقاء فيها بقصد الاتجار، فأصبح لهم فواصل في جميع الموانئ والسواحل وداخل البلاد (١) فكان هذا الوضع سبباً في أن يفقد المصري شخصيته، ويصبح كالعريب في بلاده مثله مثل سائر العرب والمسلمين في أصقاع العالم.

(١) المماليك في مصر، ص ١٣٥

قادسهم ، و دت الشقاق في صفوفهم رجفنا عليهم وانفس من النصر (١) . وقد حقت
نسوات القائد الفرنسي ، وكان لراما ان تحقق ، وذلك لسياس ، أحدهما يرجع الى
التخطيط العشوائي ، وناسيها يرجع الى غلبة الناحية المادية على الناحية الروحية
والاسلام لا ينصر الا بتقديم الناحية الروحية على الناحية المادية ، وقدما هرم
الصحة عندما سهوا عن نصيحة نبيهم من اجل العنائم .

((أجل كان رأى شارل مارتل صائبا غير أن الرعب الذى ألقاه العرب في القلوب كان من الشدة ما تركوا معه يتجهون البلدان التي قطعوها بدلا من محاولة وقفهم)) (٢٠)

يقرر لويسون : ان العرب لم يكن من عادتهم تهيب البلدان التي يرغبون في استيطانها ، اما وقد خربوا الحقول الحصية التي وقعت بين مدينة بوردو ومدينة تور واستولوا على معام كثيرة ، فان هذا العمل يدل على ان عبد الرحمان عندما دخل فرنسا (لم يكن يفكر في غير العنائم) (٣)

وسيدو لي ان عوامل ثلاثة مجتمعة كانت سببا في انهزام العرب، وهي عوامل متداخلة.

أولها : كثرة العنائم - ثانياها : كثرة الحيوس . ثالثها : قلة الاطارات . كل هذه العوامل ساعدت على الغوص والاضطراب ، وخاصة اذا ذكرنا ان عددا كبيرا من الجنود كانوا حديثي العهد بالاسلام ، ومن اصل غير عربي ، فكانت النتيجة ان تغلب القلة الموحدة على الكثرة المضطربة .

نقل عبد الرحمان الجيلالي في كتابه تاريخ الجزائر نصين لمباحثين منصفين
يتأسفان على انهزام العرب في معركة بواتيه، ادريان ان العرب لو قدر ان
استصروا في هذه المعركة وتم لهم فتح فرنسا ثم أوروبا، لانقدوا صف العالم من
ظلمات القرون الوسطى التي عاشتها أوروبا، سيما اسبانيا لم تعرف هذه القرون
الوسطى الا غصص العرب. (٤)



- (١) حصاره العرب : لوتون ، ترجمه رعيتو . ص ٣١٤ ، ط ١٩٥٦ - الحلبي
(٢) المصدر السابق ، ص ٣١٤
(٣) المصدر السابق ، ص ٣١٤ - (٤) انظر الجزء الاول ص ١٨٤ ، ط ٢ - ١٩٥٦
مكتبة الشركة الحرائرية ودار الحياه بيروت

الفصل الثاني

الجزائر في التاريخ

يرتبط تاريخ الجزائر بالغزو الاسباني منذ (١٤٩٢) الى (١٧٩٢) وهي المدة التي عرفت بحرب ثلاثمائة سنة، وخصها الأستاذ توفيق المدني بكتاب يحمل نفس العنوان.

في هذه السنة (١٤٩٢) كان الاسبان قد انتصروا على جميع العرب في الاندلس، واجلوا ملوك غرناطة بعد ان استولوا عليها بسهولة بسبب الانقسامات العائلية التي اودت بهم جميعا.

كان الاسبان يتقصصون النزعة الصليبية في المغرب الاسلامي، كما كان الاوروبيون الآخرون يتقصصون هذه النزعة الصليبية في المشرق الاسلامي، فادا كان هناك بعض الاختلاف فهو اختلاف نسبي، وبشيء من التأمل ندرك هذه النزعة التي عزت نفوس القوم واستأثرت بكل افكارهم وجعلتهم يتجهون بكل قواهم الى البطش بالعصر العربي، والباحث المصنف ليدعش عند ما يقارن الاحداث الصليبية في كل من المشرق والمغرب، اذ يدرك التناوب الصليبي الذي انصب على العرب هنا وهناك، فما كادت اشباح الصليبيين تختفي من الازدهان في المشرق حتى ظهر شبح الصليبيين الجدد في المغرب بزعامه الاسبان.

في سنة (١٤٩٢) سقطت غرناطة في يد الاسبان، وهي آخر معقل اسلامي في الاندلس، وفرح المسيحيون بهذا الانتصار، لانه يمثل الوحدة الصليبية في كل مكان.

وفي سنة (١٤٥٣) سقطت قسطنطينية في يد الاتراك العثمانيين، وهتل المسلمون، وكبروا، لان هذا الانتصار يحسد الوحدة الاسلامية في كل مكان، وكان ينسبهم هذا الانتصار التركي ما كان قد أصابهم في الاندلس منذ حين.

انتصر الاتراك على البيرنطيس، وافتكوا منهم القسطنطينية التي اعتبرت عاصمة العرب منذ الفتوحات الاسلامية الاولى، لان الاتراك صفوا عروشهم بصيغة دينية، فكان ان وحدوا جهودهم، كما ان الاسبان صفوا عروشهم بصيغة دينية، ثم وحدوا جهودهم، فانتصر كل من اولئك وهو "لا"، بينما انهزم العرب في الاندلس، لانهم مرقوا وحدتهم بسبب تقائلهم فيما بينهم من اجل السلطة.

كانت هذه الهزيمة في بواتيه اول هزيمة من نوعها في تاريخ الحروب العربية فقد كان الاوروبيون يعتقدون ان العرب قوم لا ينهزمون، فلما أدركوا منهم هذا الضعف، ولاول مرة، وعرفوا مصدره، تكونت في نفوسهم، ولاول مرة فكرة مقاومة العرب ونعت هذه الفكرة بمرور الزمن، واخذت تنتشر في كل مكان الى ان عمت اجزاء عديدة من أوروبا، ثم زحفت الى اسبانيا لتتكتل وتكون لها منطلقا هناك، تتهاجم العرب مرة بعد أخرى، وفي اثناء ذلك كان الاوروبي يستند بأسه بينما العربي أخذ تحمه في الافول رويدا رويدا، وهكذا انقلبت الآية فقد أصبح الاوروبي الضعيف بالامس قويا الآن، والعربي عكسه تماما، فقد كان بالامس قويا، فأضحى الآن ضعيفا.

آمن الاوروبيون بمبدأ انهزام العرب، فأخذوا يناوشونهم مرة ويحاربونهم أخرى في اماكن مختلفة، وأرسمت متتالية، الى ان حققوا انتصارات في كل من جنوب فرنسا ثم الاندلس ثم صقلية، وتم لهم طرد العرب من هذه الاصقاع طردا اليما، وكادوا يحققون انتصارات أخرى في المغرب العربي وفي جزء كبير من المشرق العربي لولا نظائر الجهود وأصالة العروبة في كل من هذين الجناحين.

تعليق

لو قدر للعرب ان نظموا انفسهم وتحلوا بالخلال الاسلامية العليا لحافظوا على ما بأيديهم بل لرادوا في ملكهم اجزاء كثيرة، ولانفذوا اما من وحشيتهم التي كانوا عليها آنذاك.

وابا كان الامر فان الدول الأوروبية كانت تعتقد: ان العرب قوم غزاة جاءوا من بعيد يدافع العفر، ليعتدوا على املاكهم وارزاقهم، واذن فيجب ردع المعتدين فكان ان جندوا انفسهم ووحدوا كلمتهم، ووقفوا صفا واحدا في وجه العرب، وكان من ورائهم القساوسة يعدون افكارهم بلسم الدين، فاذا الاوروبيون ينطلقون من مواطن كانت بالامس معاقل لاهناء العروبة والاسلام، ينطلقون ونفوسهم مملوءة بالحقد وحب الانتقام، فلو رأيتهم وهم يجمعون امرهم لينقضوا على العرب، لرأيت وحوشا في اجسام بشرية، فهم كالبهائم التي فقدت اجزاءها، لباسهم من جلود الحيوانات، وأكثرهم حفاة، لا يعفون من معاني الحياة الا سفك الدماء.

استعمل الاسبان في حروبهم سلاحين. أحدهما: اعتمادهم على انفسهم. وتانيهما: بت الشقاق بين أمراء العرب، ليتقاتلوا فيما بينهم أولا، فاذا ما ضعفوا انقضوا عليهم جميعا. فمثلا أن أسرة بني زيان في تلمسان كانت تحكم الجزائر وكان أبو حمو الزياني من أشهر رجال الدولة الزيانية، ومع ذلك فقد قتله ابنه تانعين عبد الرحمان ليتولى السلطة في مكان أبيه، وذلك سنة (١٣١٨م) فاذا هذا الابن العاق يلقي مصرعه على يد الدولة المرينية بالمغرب الأقصى سنة (١٣٣٧). كل ذلك بالدسائس التي كانت تحاك بأصابع خفية، تحركها اسبانيا في كل مناسبة.

وكان المغرب يعتمد من ليبيا الى المغرب الأقصى. تناوبته ثلاث دول. دولة بني زيان في تلمسان (١٢٣٥ - ١٥٥٤). ودولة بني مرين في المغرب الأقصى (١٢٦٩ - ١٢٩٣). ودولة الحفصيين في تونس (١٢٢٩ - ١٥٧٣).

استمر المد والجزر بين هذه الدول الثلاث مدة طويلة، وفي بعض الاحيان تنطلق الدولة المرينية الى تونس لتبسط سلطانها على الجزائر وعلى تونس معا، وتبقى مدة مهمة، ثم تدور عليها الدائرة، فتقلص، والدولة الحفصية تتعقبها ((ودولة بني زيان بين شقي الرحى)) (١٠).

يقول أحمد توفيق المدني (وهنا يجب علينا أن نبدي ملاحظة انصافا للحقيقة والتاريخ، وهي أن دولة بني زيان التلمسانية قد ذهبت ضحية محاولات الحفصيين، ومحاولات المرينيين معا... وأعجب العجب أن يد الاستعمار المسيحي الاوربي قد أخذت تطرق أبواب المغرب بشدة منكرة، وتذره بالويل والثبور منذ بداية القرن الخامس عشر حين تطاولت ايدي الاسبان الى مدينة تطوان سنة (١٤٠٠) فأخذتها وحطمتها وقتلت النصف من سكانها، وسأقت الباقين من رجالها ونسائها أسرى وسايا الى اسبانيا، في حين كان ملك المغرب أبو سعيد عثمان يحارب مملكة بني زيان بتلمسان من أجل ارغامها على التبعية لبني مرين، فاحتل تلمسان وطرده ملكها أبا زيان ونصب مكانه أبا محمد عبد الله، وتطاولت بعدها يد البرتغال على مدينة سبتة سنة (١٤١٥) فاحتلها الملك خوان بنفسه، بينما كان أبو سعيد يحارب أبا حسون من أجل تلمسان ايضا) (٢).

وكانت الجزائر في هذه الاونة وما بعدها لا تقوى على دفع الادي عن نفسها، لتفككها وانقسامها احزابا وشيعا.

(١) حرب ثلاثمائة سنة، ص ٦٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٦.

استمرت الجزائر في هذا التفكك والانقسام، وهي تتلقى الضربات القاسية. تلوي الضربات، فمرة من الحفصيين بتونس، ومرة من المرينيين بالمغرب الأقصى، ومرة ثالثة من الاسبان، وهكذا، الى أن ظهر في أوائل القرن السادس عشر الاخوان التركيان البربروسيان: بابا عروج، وخير الدين على مسرح الاحداث. فقد كانت شهرتهما قد انتشرت في الافاق، بسبب شجاعتيهما، وانتصاراتهما على سفن الاعداء في البحر الابيض، اذ كانا يظلمان مغوارين يخوضان غمار الموت ولا يهابان الردى. ووفقا روحيهما على الجهاد في سبيل اعلاء كلمة الله والدفاع عن حياض الدين الاسلامي الحنيف في كل مكان وفي جميع المناسبات، وكانت القرصنة البحرية في هذا العصر شائعة، ومستساعة، يتخذها بعضهم حرفة للاكتساب، ويستعملها آخرون لمجرد الهيمنة واطهار الشجاعة، ويستعملها فريق ثالث لغرض انساني او ديني او وطني.

وهذه الصفات كلها قد اجتمعت في الاخوين البربروسيين، وتجلت بوضوح في بابا عروج عندما أخذ على نفسه عهدا في انقاذ المسلمين الفارين بدينهم من الاندلس، فقد كان الاسبان يتعقبون هؤلاء المسلمين الفارين، ويضطرون بهم بطنا أو يقتلونهم في دينهم. فشاع عمل هؤلاء بين سائر المسلمين، وسمع به بابا عروج، فرأى أن يدخل باب الجهاد من القرصنة البحرية، فكان يتصدى لسفن الاعداء من الاسبان باسطوله القوي، فينتصر عليهم وينقذ المسلمين الاندلسيين من بطش اعدائهم الاسبان.

لهذه خلال الحميدة المجتمعة في البطلين التركيين، رأى اهالي بحاية والجزائر وتلمسان أن يستعينوا بهما لوقف غارات الحفصيين والمرينيين والاسبان، فاستجاب الاخوان لارادة الشعب الجزائري وشرعا في وضع خطط حربية ناجحة، فما ان اتحد الشعب الجزائري ودخل تحت لواء البطلين التركيين حتى اصبح ذا قوة وهيمنة، ولم يبق من يقاومه الا اعداء دينه الاسبان. فكان الجزائريون يناوئون الاسبان مرة، ويحاصرونهم او يحاربونهم مرة أخرى.

وتنقسم فترة الجهاد التي قام بها الاخوان البربروسيان بمشاركة الجزائريين الى مرحلتين:

الاولى: تبدأ سنة (١٥١٣) وتنتهي بموت عروج سنة (١٥١٨)

والمرحلة الثانية تمتد من تاريخ وفاة عروج الى (١٥٤٧) وهي السنة التي مات فيها خير الدين الذي كان قد خلف أخاه على كامل القطر الجزائري، والتي الاولى يرجع الفضل في انشاء الدولة الجزائرية سنة (١٥١٦) والتي الثانية يرجع الفضل

في تحرير البلاد نهائيا من يد الحفصيين والمرسين حتى أصبحت ذات حدود مقبلة هي حدودها الحالية.

الحرائر من سنة ١٤٩٢ الى سنة ١٨٠٠

بعد جهاد طويل وعسير دام ثلاثة قرون من الحزائير والاسبان يكون
للحزائير حصة في الحروب البحرية التي تعتمد في الدرجة الاولى على القرصنة
ويرجع تاريخها الى الحروب الصليبية التي عرفت عن الاسبان والاطالين بـ
الاسطير.

ويمكن تقسيم تاريخ القرصنة بالنسبة للجزائر الى فترتين:

الاولى: تمتد من سنة ١٤٩٢ الى ١٧٩٢ أعني مدة الحروب الحزائريه الاساسيه . وهذه العمره سمى الفرصة فيها بصفه ديسيه ، اذ كانت العمارات المحترقه بحول البحار ، وتتصدى للغزاة الاسان . ان هذه المرحله من الفرصة كانت مرحله مشروعه فلم توجه الى الحزائر اى استفادات او اعتراضات ، بل كانت الحزائر في هذه العمره ذات شان عظيم ، بفضل هيمنتها على البحر ، ودعاها بعضهم بلاد الحرب .

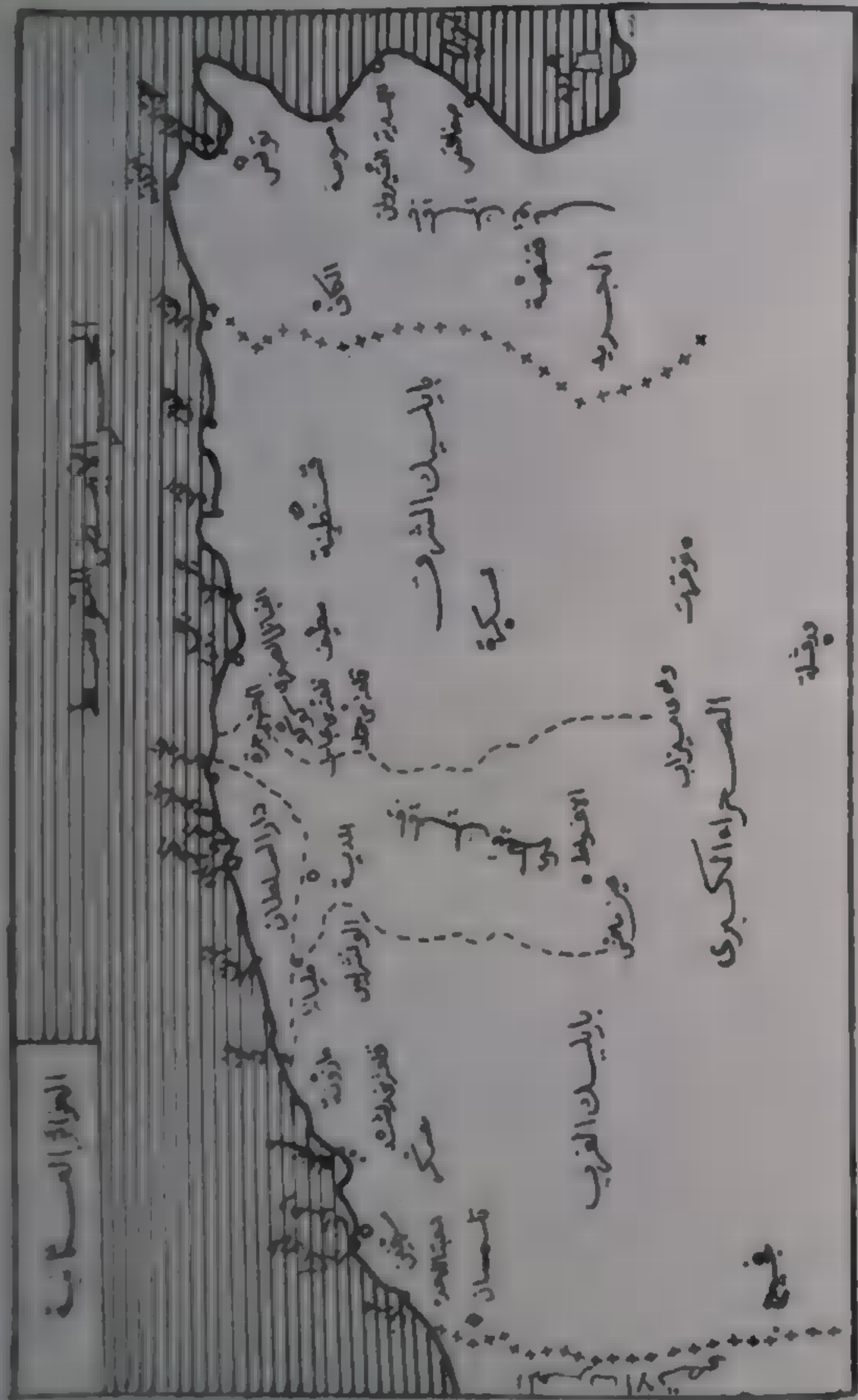
((حأ في دائرة المعارف الفرنسية الكبرى: " كانت الحكومات فيما سلف سلم أوراقا رسميه للقراصنة فنكسهم بذلك صيغه مشروعة تميزهم عن لصوص البحر وتجعلهم شبه جنود متطوعين أحرارا يعملون فوق البحر)) (1)

والمرحلة الثانية تبدأ بعد خروج الاسان من الجزائر سنة ١٧٩٢ وتمتد الى سنة ١٨٠٠.

في هذه الفترة القصيرة أخذت الدول الأوروبية تتدمر مما يلحق مراكبها في
السحر الأبيض من الهجمات الجائرة، لأن الدولة الجزائرية في هذه المرحلة كانت
قد سحرت عرشها ووحدت ترابها وعدم تبعيتها أو خضوعها لأحد، فكانت لهذه
الحلال قوة ومهابة، ويتوقع أن تصح خطرا على الدول العربية وخاصة الدول
الأوروبية.

وفعلا فقد كاث هذه الدول الاوربية مجتمع فيما بينها لوضع حد لهذه الحرائر على السحر، ولكنها تعزى دوى اى قرار حاسم لان خلافات تنشأ فيما بينها

(١) حرب ثلاثمائة سنة ، ص ٧٢



三

سبب تعارض مصالح هذه الدولة بتلك، ففتح عن هذا الاختلاف أن تنصرف كل دولة وما يراه آراء الجزائر. وفي هذه الفترة الوجيزة استطاعت الجزائر أن تكسب صفة الزعامة على سائر سياسات المغرب الأخرى، واعترفت أوروبا لها بذلك وأصبحت تدفع لها الصرائب، ويغدم لها الهدايا. وكثيرا ما تعلن الجزائر الحرب عليها أو على بعضها عندما تتأخر في دفع تلك الصرائب والهدايا. وأكثر الدول التي كانت تتعرض لنقمها هي أسبانيا والبرتغال والمدن الإيطالية، والدول الاسكندنافية

ولهذا كانت تضطر إلى دفع مزيد من الصرائب كل سنة وتعدد معها علاقات الصداقة باستمرار حتى تبقى عصيا واحطار أساطيلها.

وهكذا فإن كل دولة نعت فصلا ليميلها بالجزائر، لا بد أن سمعت معه أموالا وهدايا بخلاف قيمتها باختلاف مركز تلك الدول والاحطار التي تهدد أساطيلها ومصالحها التجارية.

فأمريكا كانت تدفع عشرة آلاف دولار نقدا، وهدايا فصلية تقدر قيمتها بحوالي أربعة آلاف دولار. وبريطانيا ٠٠٠ وفرنسا ٠٠ (١).

أكسبت الجزائر هذه الميزة بسبب أسطولها وحرارتها، ثم بسبب الاختلافات التي كانت سائدة بين دولة وأخرى. فمثلا أن فرنسا أعلنت الحرب على مصر سنة ١٧٩٨. فكان أن امتنع الجلبا من فرنسا، ووقع بينهما ميثاق فاستغلت الدولتان مشاكلهما وسكنا عن الجزائر وما لها من هيمنة، ولكن كان سكوتها مؤقتا، بدليل أن اقتراحا كان قد حدث في ٣ يوليو من عام ١٧٩٧ يدعو إلى إنشاء مستعمرات حديثة في الشمال الأفريقي وفي الجزائر بالذات (٢). رأت الحكومة الفرنسية أن الوقت غير ملائم ولذلك تعافت عن الاقتراح، (واهتمت فقط بتسعيد مشروع الحملة على مصر، وحرصت على إبقاء علاقات الود مع الجزائر وبغية الشمال الأفريقي، حتى تنعيبها على الحناد في نزاعها مع بريطانيا إبان الحملة على مصر عام ١٧٩٨. ولكن الجزائر ودول المغرب سرعان ما أعلنت عليها الحرب في الفترة من أواخر ديسمبر عام ١٧٩٨م إلى أوائل مايو عام ١٧٩٩م بسبب تلك الحملة، وأسرت وطردت العاصل والرعايا الفرنسيين وصارت ممتلكاتهم (٣).

(١) المؤرخ من تاريخ الجزائر: يحيى بوعزيز، ص ١٤٥

(٢) المصدر السابق، ص ١٦٥

(٣) المصدر السابق، ص ١٦٥

وقد اقترح أحد ساسة فرنسا على نابليون بونابرت أن يعد حملة ضد الجزائر سنة ١٨٠١ (ولكن بونابرت رفض أن يفتح جبهة جديدة للحرب وهو ما برز على من حملة مصر وألعاب الانجليز ضده).

وحين انحلى الموقف وبدأت التمهيدات للصالح بين فرنسا وبريطانيا في لندن عام ١٨٠١ تحول اهتمام فرنسا مرة أخرى إلى الجزائر لتكون كمنعوق لها عن صناع مصر (١).

وبعد هذه الفترة ظهر خلاف جديد بين فرنسا وعدد من الدول ثم ظهر مرة أخرى مع الجلبا. وكانت فرنسا تميل إلى السلم متى ظهرت بوادر النزاع مع غيرها من الدول، وتميل إلى الوعيد إذا استصحب دائما. وهكذا تنقص توب الصدق المتعاون مرة، وتنقص توب العدو اللدود مرة أخرى حسب الظروف والاحوال التي أن خلا لها الجو لتنقص على الجزائر التي كانت تحلم باحتلالها منذ زمن بعيد. وساعدها الحظ باحتفاء كبير من الدكرات النابولونية التي كانت تقفها أوروبا (٢).

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق ص ١٧٥

الباب الثالث

عصر النهضة

المشرق العربي

الفصل الاول : الحملة الفرنسية على مصر .

يبدأ عصر النهضة العربية الحديثة في أوائل القرن التاسع عشر إثر خروج
الليون بونابرت من مصر وظهور محمد علي على المسرح السياسي في المشرق
العربي، وخاصة مصر .

شهد المصريون في السنوات الثلاث (١٧٩٨ - ١٨٠١) التي قضاها بونابرت
في بلادهم ما جعلهم يدهلون من أمر هذا القائد العاري ، إذ جاء بكل مرافق الحياة
من مطبعة ، وعلماء ، وكان عرصه أن يجعل مصر نقطة انطلاق التي آتيا ، وخاصة الهند
لنحول بين يدي تلك البلدان ومطامع الانجليز .

وبعد أن سيطر بجيشه على المعاليك بظاهر أمام الجيش المصري بالسياسة
وتغلبت بعض صباطه الى الاسر المصرية متعصين نوا اسلاما ، ولكن أعمال مصر به
سورطوا ، وعطشوا الى ما تكنه نفوس القوم .

في هذه الفترة كانت ثلاث قوات عسكرية تعد في وجه نابليون :
المعاليك في مصر . (٢) قوة الجيش العثماني الذي تعد في مصر الأعظم من
الاسياد لمحاربة الفرنسيين . (٣) ثم قوة الجيش الانجليزي .

استطاعت هذه القوات الثلاث أن تساور حذر نابليون وأن تحدث في صفوفه
ليلته الى أن كانت موقعة أبي قير البحرية التي وقعت بين الانجليز والفرنسيين
واسفرت البحرية الانجليزية على البحرية الفرنسية ووقعت بين المصريين والفرنسيين
عصر على اسباب الحسرة من مصر . أما فرنسا فقد خرجت بعد يوم من هذا
أحدث ما ظل به خرجت منه ١٨٠٣ بعد الحاح نابليون .

نتائج الحملة الفرنسية

كان لحملة نابليون على مصر نتيجتان، أحدهما سيئة والثانية حسنة (١) تبدو النتيجة السيئة في تدهور الاقتصاد المصري، وذلك لعدة عوامل، منها: أولاً: الحصار الذي ضربه الأسطول الإنجليزي على المواني المصرية ليعيد نشاط الحملة الفرنسية.

ثانياً: أن البلاد كانت ميداناً للقتال في الشمال بين جيشين نظاميين: جيش العثمانيين الذي زحف من سوريا، وجيش الفرنسيين.

ثالثاً: أن ثورات عدة قامت في الصعيد مصر ضد الفرنسيين.

رابعاً: أن ثورتين حدثتا في القاهرة بتحريض من العلماء والمماليك والعماليق ضد الفرنسيين.

كل هذه العوامل كانت سبباً في الفقر وتدهور الاقتصاد في البلاد مما جعل السلطات الفرنسية تثقل كاهل الشعب المصري بالضرائب العادحة، كعقل المماليك من قبل.

(٢) وتتحلى النتيجة الحسنة في عدد من المظاهر.

أولاً: إيقاف الشعور المصري، وإدراكهم للخطر الذي يتهددهم من قوم غرباء ليسوا على دينهم، ولا هم من جنسهم، وخاصة بعد أن رأوا تلك المقاومة الباسلة التي أبدتها المماليك إلى أن استشهد منهم خلق كثير.

ثانياً: تطلع المصريين إلى مستقبل أفضل، وذلك بسبب ما شاهدوه من تقدم الفرنسيين في جميع الميادين، وباعدتهم على هذا التطلع ما كان قد خططه نابليون من سياسة ونظام. فقد أنشأ ديواناً يضم تسعة أعضاء من المشايخ والعلماء يسيطرون في أمور الرعية، ويرجعون إلى الحاكم الفرنسي في القاهرة ليقول كلمته الأخيرة. وكان نابليون كثير الاحترام لقرارات مجلس الديوان.

وبعد هذا الديوان حدثاً جديداً في تاريخ المصريين، وذلك لأنهم شعروا، ولأول مرة بالعدالة الاجتماعية التي لم تكن في يوم ما في حياتهم، بسبب حرمانهم منها طول العصور الماضية باستثناء فترات قليلة متقطعة.

ثالثاً: ارتفاع المعنويات في نفوس المصريين بسبب اشتراكهم في بعض

الأمور

رابعاً: اكتساف المصريين لأنفسهم بأنهم كغيرهم من الأمم. فمن قبل كان يسمون أنفسهم بأنفسهم لو أنحت لهم العرش (١).

الفصل الثاني: العرب والاستعمار في القرن التاسع عشر.

في القرن التاسع عشر وصل العرب إلى مرحلة حاسمة في تاريخهم، حيث أطماع الدول الاستعمارية على اختلاف أحاسيسها، وهي كلها مودة أو في بعض الأحيان والعرب ضعفاء، أو مستضعفون. وفي هذا القرن كانت الدولة العثمانية سيطرة على أكثر السعوط العربية ونزعهم الدفاع عنها وعن الدول الأوروبية التي كانت تستولت عليها كالليونان، ورومانيا، وبلغاريا، واليابان، وأجزاء من المغرب.

وقد صنع العثمانيون احتلالهم للدول الأوروبية ضعفاً دسداً، وفيهم عزمهم. ولذلك عصفت صدهم أمم العرب، وأحدوا في ماضية إلى جلدتهم بكل الوسائل التي إلى أن أضعفوا الدولة العثمانية وجعلوها تنفصل شيئاً فشيئاً من تلك الدول التي أن احصر الحكم العثماني نهائياً في الرقعة التي تحت يد تركيا الحالية.

وفي المشرق العربي حدث تناقض للأنوار العثمانية من بعض السعوط وخاصة لبنان. وكان شعار هؤلاء العرب في مناوشاتهم تلك: يقوم على مصطلح جديد: دعوة العروبة. والعروبة لواء لجميع العرب، ولذلك استعملت كلمة العروبة. وأحد دعائها يروجون لها ويدعون العرب إلى أن يحدوها سلاحاً لهم ليحققوا الانفصال التام عن الدولة العثمانية التي أصبحت في هذا القرن ضعيفة جداً الضربات القاسية التي كانت تلحقها من روسيا ومن دول البلقان. فبدأ ما عرف في التاريخ بالمسألة الشرقية.

المسألة الشرقية

عقدت الأمور بالسبب لتركيا بسبب موقف روسيا والدول الأوروبية صدهم من جهة، وموقف السعوط العربية ومناوشاتهم لها من جهة أخرى. فبدأت المسألة الشرقية تسمى بالمسألة الشرقية وهي ذات اتجاهين: اتجاه روسي وتركستاني، واتجاه عربي تركي. أما الاتجاه الأول يقوم على مطامع روسيا، ومخاوفها من تركيز القوى التركية، ووضع تركيا، ونسج عن كل ذلك أن حدث تحالف بين روسيا والهند من جهة، وبين إنجلترا وروسيا وهولندا من جهة أخرى. فبدأت المسألة الشرقية

(١) راجع الفصل السابق في كتاب تاريخ مصر الحديثة من محمد عبد الرحيم

وخلص هذه الاخلاص ضد تركيا، وادا كان هناك خلاف بين حلف وآخر فانما هو من اجل اطعام اكبر في البركة التي سوف يقسم بينهما والقوى تحظى بأوفر قسط من بركة الرجل المريض كما كان سمي عند القوم وهم يحسون بطبيعة الحال تركيا آل عثمان.

دارت حروب بين روسيا وتركيا وبلغت معااهدات أغلبها في صالح الروس ثم تدخلت انجلترا وفرنسا في صالح تركيا ثم كانت كل من انجلترا وفرنسا مع العرب ضد تركيا، وأخيرا انضمت تركيا الى جانب ألمانيا والنمسا في الحرب العالمية الاولى، فكان ان اسهرم المحور وانصر الحلفاء، وبذلك قصت تركيا على نفسها، فوجدتها بريطانيا فرضه ساحة ليعطف كثيرا من أملاك تركيا في آسيا.

في هذا الوقت الذي كان الرجل المريض يتلقى الصربات القاسية من أعدائه الأوربيين كان في نفس الوقت يتصارع مع العرب في المشرق العربي، يدعوى ان العرب لم يتمتعوا بحقوقهم المشروعة تحت ظل الحكم العثماني الى ان استقل عدد من الدول العربية مثل مصر، واليمن، والجزيرة العربية.

استقلت هذه الدول العربية باسم العروبة، كما استقلت دويلات البلقان باسم القومية، وكان يعدى مبدأ القومية العربية والقومية الأوربية كل من الانجليز والمفتحين السياسيين، وذلك لعدة أسباب.

اولها: ان الدولة العثمانية كانت تحارب الدول المحاورة لها باسم الدين. ثانيا: ان الدولة العثمانية كانت تنظر الى اللغة العربية نظرة غير التي تنظر بها الى اللغة التركية، فسمح عن ذلك ان أصبحت اللغة التركية لغة رسمية، بينما اللغة العربية مدارسها القوميون العرب بطرقهم الخاصة حتى لا يتدنوا، وأصبحت كأنها لغة ثانوية أو غريبة.

ثالثها: ان الشعوب العربية في المشرق تحوى طوائف متعددة في المذاهب الاعتقادية والاتجاهات السياسية، والعروبة أم روم تجمع كل هذه الطوائف. وقد بولد عن هذه الأسباب الثلاثة ظهور الجمعية الماسونية وسارع اليها عدد كبير من دوى المذاهب والمناصب لانها اتحدت الاحاء، والحرية والمساواة شعارا لها، غير ان هذه الجمعية لم تخدم القضايا الوطنية العادلة، اما اكتفت بمساعدة الصفا، والمحتاجين، ولذلك انسحب منها عدد كبير من المفكرين، وفي مقدمتهم جمال الدين الأفغاني، لان مثل هذا الزعيم يشد الجمعيات النائرة التي تطالب بحقوق الشعوب المظلومة لا الجمعيات التي تدعو الى الكسل تحت شعار اساني براق.

وبحت هذا الخصم من المد والجزر التي عاشها تركيا والدول التي حاورتها او كانت تحت حكمها بولد وعن حديد وتحسم في رواد النهضة في شتى الميادين.

الباب الرابع

رواد النهضة

الفصل الاول: رائد النهضة في مصر.

للنهضة العربية الحديثة ميادين متعددة، وكل ميدان يحمله رائد أو أكثر، وسيفحص على عدد من الميادين وعلى عدد من الرواد، وكل رائد يحمل ميدان خاصا، بعضهم في المشرق العربي أو الاسلامي وبعضهم في المغرب العربي.

الميدان العسكري والسياسي في مصر

يحمل الميدان العسكري والسياسي محمد علي في المشرق العربي والاسلامي وخاصة مصر.

كانت الحالة العسكرية والسياسة في مصر تنذر بالخطر، فالوضع السائد قد تدهور، لان القوات الثلاث التي تقدم ذكرها قد اسد صراعها فيما بينها، ثم ظهرت قوة رابعة وهي قوة محمد علي الذي ظهر فجأة على مسرح الاحداث. وقد كان في اول الامر حاصفا لأوامر الاسنان، ثم ربا بصره الى عرش مصر، ولكنه أدرك ما يطره من الصعاب، سواء في الداخل أو في الخارج، فرأى ان يلف دورا بطول في معترك الحياة عسى ان يخرج من هم في مسواه أولا ثم يراحم الدين هم أعلى منه درجة، ولم لا وهو خريج مدرسة الحياة نفسها؟ اد لم يقرأ في المدرسة العثمانية كغيره ممن يسيرون أمور الناس بالافلام، ورأى سداحه في هؤلاء الذين يتنحرون الثقافة والفهم، وكما لهم من اخطاء، فتركيا العثمانية، الم بكر امراض عظمى وها هي تنقلب يوما بيوم، وطمع فيها من كان بالامر تحت رحمتها، وادرك انه لا يصرح محمد علي صرعه، ومنه صفات الرعامة؟ ها هو محمد علي يصمم سياسة عمر حظه مرسومه تتمثل في الخطوات التالية:

انضم محمد علي اول الامر الى الانجليز وذلك لتحرير مصر من الفرنسيين. ولما تم ذلك وخرج الفرنسيون من مصر نهائيا بعد الهزيمتين في معركة ابراهيم البحرية، رأى مره أخرى قادا هو امام قوة قديمة هو قوة المماليك الذين كانوا يرالون بحكمون البلاد، وقد استغلوا مصر، وأصبح ياديدهم البحر والصحراء، وهذا الوضع فاده الدولة العثمانية، وأظهر محمد علي حكاما كبارا في هذه الامور التي لا يرضى طموحه، ومن نفس الوقت لا يرضى الاثراك المصريين هم بدهور الدولة كثره على محمد علي، عسى ان بعض بدهائه المعروف عمر هذه القوة الضعيفة في اعناق مصر منذ زمن بعيد.

وكان محمد علي يعرف نوايا الانراك ونوايا المماليك على حد سواء ورأى ان
الحكمة تقتضي بان يسر رويدا رويدا، فبدأ بالمماليك أولا ثم بخطو مع العثمانيين
خطوات اخرى وبطريقه تدريجية معتمدا على المدة القائل " ان الغاية تسرر
الوسيلة " .

تطور الاحداث

بعد انسحاب الفرنسيين ظهرت قوات اربع .

(١) قوة الانجليز . (٢) قوة العثمانيين بقيادة خسرو . (٣) قوة الحسين
الالباني بقيادة محمد علي . (٤) قوة المماليك .

اما قوة الانجليز فقد ترك امرها الى المعاهدة الفرنسية الانجليزية التي
وقعت بين الطرفين سنة ١٨٠١ . وفعلا فقد خرج الانجليز بناء على تلك المعاهدة
ولكن في سنة ١٨٠٢ وبالحاج كبير من الفرنسيين .

وبخروج الانجليز من مصر لم يبق فيها الا قوات ثلاث : قوات العثمانيين في
الاسكندرية ، وقوة المماليك في عدد من مدن الصعيد المصري .

اما قوة محمد علي فقد حافظ عليها في القاهرة ، وبذلك ابعدها عن القلاقل
التي سوف تحدث بين حسن العثمانيين والمماليك . وفعلا حدث قتال عفيف بين
الحسين ، واستصر المماليك على العثمانيين .

بناء هذا الاسمار القادة العثمانيين في كل من مصر والاسانه وادركوا ان
السبب الحقيقي يرجع الى الموقف السلبي الذي وقفه محمد علي من الحشيش
المتحارفين . كانه سى بانه لا يزال حاصلا لاوامر الاسانه ، وانه لم يستغل بعد
مصر كل الاستقلال ، وفي نفس الوقت كان محمد علي يقدر الاحطار المحدقة به وان
الحالة في مصر سير من سي الى اسوأ . وان عليه مع ذلك ان يهربت وان يكون
حدرا . حتى لا يكون سببا في غضب اولي الامر ، او يرمى بنفسه في اتون الحرب التي
قد تدار من جديد بين قوة العثمانيين والمماليك . ولكن خسرو القائد العام للقوات
العثمانية امر محمد علي باسم المصدر الأعظم ان يشارك في المستقبل في مقاتلة
المماليك بحيشه الاباني . فكان ان تودد محمد علي الى المماليك وبالمهم ولم
يقتل في قتال بدهم حتى مكثهم من الاسمار على العثمانيين .

ومره اخرى اساء خسرو وقادة الدولة العثمانية في الاسانه . فرى حبه
عصي على محمد علي بالحيلة ، فعب اليه ليعاقبه لئلا ولكن محمد علي فضل
يدبر له في الخفاء ، فابى الدهاب الا سهارا وعلى رأى حبه . وحينئذ
المماليك على العثمانيين انصارا سهايا . وفر خسرو الى سوريا . ولم يبق في مصر الا
حسان : حسن المماليك وحسن محمد علي .

سعى للسلطان بالاسانه ان محمد علي يسر في احاد معاكس اسانه في
مصر . وان التخلص منه اصبح ضروريا . فرأى ان احسن طريقه سيعملها مع ان يعطى
به وحشيه الى الحجار حيث الوهاسيون الذين احدثوا سودون المصطفه وسرور
افكارهم الجديدة التي سافى وافكار آل عثمان .

ادرك محمد علي ان السلطان يريد ان يعقد مصر بأي طريقه كانت وكان
مصر قد اصبحت مديانا للمباررة بين قوتين متعاديتين ، قوة العثمانيين . من جهة
وقوة محمد علي من جهة اخرى . والذي يستمر على حصمه يكون له العنة المصدة
والى امد بعيد .

رأى محمد علي ان القويين غير متكافئين . وخاصة اذا علمنا ان العثمانيين
يكونون عنصر الاصاله . لاسهم اسولوا على مصر منذ زمن بعيد . ثم ان محمد علي
نفسه ان هو الا صبيعه آل عثمان . فهو قد جاء ضمن حدود التماسين لاجراء
الفرنسيين لالسي : آخر .

هذان عاملان يدركهما محمد علي الى جانب العامل الثالث الذي سمر في
قله حنده . . رأى محمد علي ان يلجأ مرة اخرى الى الحيلة والده : السفر . و
على مصر بطريقه مرضيه لا سير غضب احد من سانه تركيا . او على الأقل لا يحقهم
يعلمون صراحه ما يحقهم في نفسه . فكان يماطل قائده تركيا . وفر نفس الوقت كان
يتقرب الى اعيان مصر وعلمائه ليحصل منهم على وسعه موقفه بحضهم ونسبه
محمد علي رجل صالح لان يتولى شئون مصر تحت رعاية تركيا . وان مصر
ترغبون منه ويرجون من المسئولين الانراك الموافقه عليه .

انسحاب السلطان لمطالب المصريين عن مصر رجاء .
فصيح في صالحه فيقول محمد بسهولة .

مواقفه

اسمر المد والحرر بين الباب العالي ومحمد علي .
منهما يرضى بالاجر الدوائر .

في سنة (١٨٠٥) طهر للباب العالي أن يعزل محمد علي قبل أن يستعمل أمره، فرأى هذا أن وقت الاسفلال بمصر لم يحن بعد، وعليه أن يتظاهر بالرضا والقبول أمام المسئولين الأتراك حتى لا يعزل عنه، فلحقا إلى استعمال الدهاء مرة أخرى، وفي هذه المرة أعلن أساءه من الأتراك أمام قوتين هامتين: قوة العلماء المصريين، وقوة صباطه وحنوده.

أما العلماء فقد كتبوا عريضة جديدة إلى الباب العالي يلتمسون منه مرة أخرى أن يكون محمد علي واليا على مصر.

أما الصباط فقد عاهدوا الله على الدفاع عنه.

وفي هذه الأثناء كان الأتراك العثمانيون يدرسون الوضع الداخلي في مصر، والوضع الخارجي في الدول المتاخمة، فوجدوا الأحوال متوترة هنا وهناك. فالوضع الداخلي لا يسيء، بالتفاوت، لأن المماليك قوم لا يؤمن بهم، لما حبلوا عليه من الانانية والعوصى وأحداث الاضطرابات. أما الوضع الخارجي فيصدر بانفجار الحرب إن عاجلا أو آجلا، لذا اعتر الباب العالي من جديد بولاية محمد علي.

النتيجة التي حصل عليها محمد علي منذ وفادته جنديا أبان الحملة الفرنسية على مصر إلى هذه السنة (١٨٠٠) أنه ربح جميع القوات المعادية له ولم يبق أمامه إلا قوة واحدة هي قوة المماليك.

إن قوة المماليك قوة لا يستهان بها فقد الفت التمرد والمشاغبات وأحداث الفلافل والبلبل في النفوس، فهم ينتمون بصفين متنافستين أولاهما العلم بالعروسية وما ينصل بها من شجاعة وإقدام، والصفة الثانية الجهل بما يدور في الحقاء صدهم.

ومحمد علي ذاهية ويعتق مبدأ العافية شر الوسيلة، لذا رأى أن يتخلص من المماليك بالحيلة..

محمد علي ومذبحة المماليك

أكد محمد علي من أن حيشه أقل عددا وعدة ودراية بالساليب الحرب من المماليك الذين تمارسوا على فنون القتال والعروسية بسبب الممران وطول المدة التي مضواها في الحروب والغنى والمشاغبات. لكي يتحج محمد علي في تنفيذ حيلته عمد إلى استدراج المماليك إلى القلعة في أعلى مكان بالقاهرة، ورغم لهم أن وليمة سيعملها هناك بمناسبة تعيين ابنه طوسون قائدا عاما لجيش سوف يرسل إلى بلاد... لمحاربة الوهابيين.

وفي يوم الجمعة أول مارس سنة (١٨١١) أميل رجال الدولة والمماليك إلى القلعة، وهم في أواخر لباسهم، دون أن يدور بخلد أحدهم أن هذا اليوم المارث سيكون يوما للعدو والخيانة.

كانت الحطة التي وضعها محمد علي أن يقضي على المماليك بعد انصرافهم من الوليمة وهم وانفون بأن الحو مملوء بالمحبة والمصرة، فوعد إلى حلصائه بأن يعلقوا الباب متى انصرف المماليك في المسيرة وامتاروا عن غيرهم ممن عدوهم أو باخر عنهم. وفي طريق صق بين جبلين امطروا بوابل من الرصاص، وقصوا حشيتهم في حشيتهم، وكانوا زهاء خمسمائة جندي وقائد.

سج عن هذه المجزرة أن فر عنه المماليك إلى سوريا أو السودان ودانوا هناك في الاهالي. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن جنود محمد علي استابوا في السوارع يسهون ويرتكبون الحرائم. واستمروا على هذه الحالة مدة أسبوع حتى بعثوا الدعر في نفوس الاهالي، ولم يكفوا عن أفعالهم الا عند ما رأوا محمد علي نفسه ينزل إلى السوارع ليضع حدا لحده.

ومن جهة ثالثة، فقد عبرت نظرة المصريين نحو محمد علي الذي أحدث نوابه الحقبة بظهور للعيان..

أعمال محمد علي

رأى محمد علي أن يسهض بمصر في عده ميادين، ليحقق هدفين أولاهما: أن يعوى مركزه، وأن يحو سبائته التي ظهرت جلبا في مذبحه القلعة. ثانيهما: أن يجعل مصر شبه أوربا في الانبهاء والعظمة، فكان أن وضع نصب عيشه ثلاثة صابرين هي: الميدان العسكري، ثم الميدان الاقتصادي، وأخيرا الميدان الإداري.

الميدان العسكري:

((أرسل محمد علي أحد عشره بعثة، آخرها (١٨٤٧) وكان تحت إقامته بأعضاء البعثات، يتقصى أساءهم، ويشرف على دراساتهم باهتمام. ويكتب لهم من حين لآخر رسائل يسحبهم فيها على العمل والاجتهاد، ويحثهم إلى واجباتهم وذلك لسده حاجته في نهضة التي من يقف بحاسه، ويستفيد من روحه الصاعدة.

(أول بلاد بعث إليها محمد علي بعوثا علمية هي إيطاليا، فقد أوفد سنة (١٨١٣) ٠٠ عدة تلاميذ لدراس الفنون العسكرية وبناء السفن، والطباعة، والهندسة، وغيرها (٠٠) (١)

تم تحول نظر محمد علي عن إيطاليا إلى فرنسا، فأرسل إليها طائفة من التلاميذ حوالي سنة (١٨١٨) (٢)٠

ولما رجع هؤلاء أفادوا مصر في جميع مرافق الحياة، وأشهر منهم عدد كبير مثل: رفاعة الطهطاوي الذي أرسل على رأس بعثة ليكون أستاذا وعمان بور الدين الذي أظهر إخلاصا لوطنه، وعوفايي العلم إلى حسن السيرة والسلوك.

وبهذه الحال فقد فرض نفسه على الدين اتصل بهم وعرفوه عن كثب فأحبوه واعترفوا له بمناقبه وأثنوا عليه في السر والعلانية، حتى سمع به محمد علي نفسه فأحبه هو بدوره وأصبح (لايناديه إلا بلقبه "ولدي عثمان" ولا يكتب له إلا بها، وبني له منزلا بجواره، ليكون على مقربة منه، ولقبه على أن ما ظهر من مهارته الحربية رئيس البر والبحر، ولما ثارت حرب كريت (٣) وأراد محمد علي إدخال أهلها في النظام العسكري، أرسل عليها عثمان بور الدين باشا هذا بقوه عسكرية فأخضعها بعد أن أعطى رؤساء العتبه عهد الأمان على أرواحهم وأموالهم، فلم يوافق على ذلك محمد علي، وصمم على قتلهم، فحار عثمان باشا في أمره ولم يجد مخرجاً من هذا إلا أن ترك خدمه مولاة، فتركها وهرب من جزيرة كريت إلى الأسنة سنة ١٨٣٣م وأقام بها إلى أن مات رحمه الله (٤)

الميدان الاقتصادي

قوم سياسة محمد علي في الميدان الاقتصادي على مبادئ رئيسيين (أولهما: تحقيق الاستقلال الاقتصادي للبلاد، وثانيهما: اتباع مذهب الاشتراكية الحكومية) (٥)

(١) البعثات، ص ١٠: عمر طوسون

(٢) نفس المصدر

(٣) كريت مدينة يونانية قديمة احتلها العرب سنة ٨٢٦م واحتلها الاتراك سنة ١٦٦٩م ثم احترب تركيا بالانحطاط منها سنة ١٨٩٨

(٤) البعثات العلمية، ص ١١

(٥) تاريخ مصر الاقتصادي، ص ٨٧ محمد فهمي

وعلى الأساس برز محمد علي أمام أعين الشعب في يوم الحادي عشر من أيار/مايو ١٨٠٥م، فبرز الملكية بدعوى أنه يمثل سلطة دنيته كإمام للمسلمين، أيام الفتح الاسلامي، (استولى على أراضي المماليك في الوجه البحري بعد أن طردهم إلى الوجه القبلي عام ١٨٠٧) (٢)٠ وفي أمانه بوعلى من لا يرضى نوع خاص بالوقف، ويوع بملكه دووه.

النوع الأول: كان تحت رعاية المشايخ، فرأى محمد علي أن لا يعرض أحد بالوقف، إذ هو سائح معروف، ومصنوع عليه في الفقه الاسلامي، لذا وضع نفسه مستقلاً عن هذه الاوفاف، وبذلك حل محل المشايخ على الرغم من معارضة من معارضة سديده، ولكن دون حدود.

والنوع الثاني: من الاراضي التي يملكها أصحابها، فقد طالب كل واحد من تحت حق الملكية بوسعة رسمية (ولما أبرروها أظهر بطلان أكثرها، ووعد البعض بإعطائهم بعوضاً مالياً عن أراضيهم، ثم أخرج جميع الوثائق والحق الخاصة بهذا الشأن) (١)٠

استمر محمد علي طريقة لجمع ما تنتجه الارض من المحاصيل، حتى أصبح جميعها في يده، والطريقة تمثل في رأسائه مخازن كثيرة في أماكن متفرقة، ويضع تلك المحصولات في تلك المخازن ثم يبيع عمال محمد علي (وبقدرون أمان كل نوع من المحصولات، ويؤخذ جزء نظير الضرائب المطلوبة، ويتبقى الحكومة الباقي فيستعمل بعضه في مصاعبها، وينسج الباقي إلى التجار الأحرار.

وبهذا احتكر محمد علي التجارة فأصبح الباجر الوحيد، وحتى من هذه الطريقة أموالاً طائلة مكسبه من القيام بأصلاحاته العظيمة، وحرره الكثير، (٢)٠

وسح عن هذا التخطيط الاقتصادي أمراً معيارياً، أحدهما حرر ونصر من الفائدة التي حسنها مصر وعلى رأسها محمد علي، الأمر الثاني كان سبباً لعدم اد لم يحسن الفلاح المصري على عهد محمد علي إلا السقاء والسعد، فقد أصبح كالأخير يعمل من أجل سد الرمي، وخاصة إذا علمنا أن عمال محمد غير كانوا سيطرون عليه ألواناً من الظلم باسم السلطان (فكانوا يستعملون موارد مملوكة لهم من محصولات) (٣)٠

(١) تاريخ مصر الحديث، ص ٩٦

(٢) تاريخ مصر الحديث، ص ٩٦

(٣) تاريخ مصر الحديث، ص ٩٧، وبراجع تاريخ مصر الاقتصادي، ص ٨٧

المسندان الإداري

أسس محمد علي عددا من المجالس والدواوين على غرار ما عرف من النظم الإدارية الفرنسية في حملته باليونان.

رأى محمد علي أن مشاكل السكان أحدثت سخطا، والمصريون قد منعوا سبيهم من الديمقراطية التي تعمل في الإدارة إبان الحملة الفرنسية، وهم لم يسوا عدنان أمورا مهمة قد أسدت السهم لسدروا على ممارسة تطبيق العدالة الاجتماعية في سبي المشاكل التي تعرض الإنسان المصري.

على هذا الأساس أسس محمد علي مجلسا أعلى يولى رئاسته هو نفسه. وإلى جانب هذا المجلس الأعلى فقد أسس ديوانا يتعلق بشئون التعليم وآخر للتجارة، وديوانا للصناعة وديوانا عسكريا. أحدهما يتعلق بالشئون البحرية، والآخر يتعلق بالشئون الحربية.

وسهده الدواوين تكون محمد علي قد استطاع أن ينظم الشئون المصرية الإدارية، وأن يخطو بها خطوات جديدة نحو التقدم الحضاري إذ بأعماله الإدارية هذه يكون قد استلها من العوضى والاضطرابات التي عاشتها مصر في العصور العارضة أيام المماليك.

طبيعة محمد علي

مما عدم فهم أن طبيعة محمد علي لم يخرج عن أساليب الأتراك الذين عرفوا سببر المؤامرات وتقدم المصالح الشخصية على المصالح العامة. وأن مداهم جميعا يقوم على أن الغاية تبرر الوسيلة ويحلى هذا في عقله المماليك، وفي أحرار الوثائق المتعلقة بامتلاك الأراضي، إلى جانب سرده على سلاطين آل عثمان في الأساقفة.

أما ما يقال عن السعفات التي نعت بها إلى الخارج فإنه فعل بدافع الطموح حتى يقال عنه إنه عظيم، وأنه صانع مصر، ومصر بلد قدس له حضارة، فإذا لم يظهر هذه الحضارة في الشعب المصري على عهد محمد علي فذلك يرجع إلى التوائت التي مرت بهذا الشعب، ولما جاء محمد علي أبغض ما كان كامنا في نفوس المصريين.

مظهر ذلك في العوائد الكبرى التي رجعت على المصريين بعد رجوع السفراء من الخارج، فقد أسس في التفكير المصري، وبما هذا التفكير سببا وسببا من الحيرة في الجهود المتأخرة.

الأسرة العلوية

توفي محمد علي سنة ١٨٤٩ وحلعه في آخر حياته محمد علي باشا. ١٨٤٨ - ١٨٥٤ ثم جاء محمد سعيد ١٨٥٤ - ١٨٦٢ ثم إسماعيل ١٨٦٢ - ١٨٧٩. توفي ٧٩ - ٩٢ عباس الثاني (عباس حلمي) ٩٢ - ١٩١٥ ثم أصبح بعد محمد الثاني وعين حسن كامل ١٤ - ١٧ سلطانا ثم أصبح ملكا سنة ١٩٠٢. بعد الثورة المصرية التي حدثت سنة ١٩١٩، وكان مؤادا قد تولى السلطة بعد وفاة أخيه حسين كامل من ١٩١٧ إلى أن عين ملكا سنة ١٩٢٢. وآخر من تولى عرش مصر من أحفاد محمد علي الملك فاروق بعد وفاة أخيه سنة ١٩٣٦ إلى ١٩٥٢.

الفصل الثاني

رائد النهضة في الجزائر

الامير عبد القادر

الامير عبد القادر والغزو الفرنسي للجزائر :

ظهر الامير عبد القادر على المسرح السياسي والعسكري في ظروف صعبة . فالفرنسيون قد سبقوا اقدامهم في عدد من المناطق الهامة ، واخذوا ينسرون هناك ليستولوا على كامل القطر الجزائري . وكان المواطن الجزائري يحوره وحده السعور ، ووحدة النضال ، ليقاوم الرجف الاجنبي على بلاده . وكان سب الساعد الذي شل جسم المواطنين الجزائريين يرجع الى النظام الاداري الذي كان سائدا آنذاك ، ويخلص في الشؤون الادارية التي كانت تخضع للانراك ، وفي مقدمتهم الداي .

فلما استسلم الداي للفرنسيين سنة ١٨٣٠ انفصل كل حاكم عن ادارته المركزية بالعاصمة ، واستقل بما تحت يده ، واصبح المسئول الاول عن الولاية التي يحكمها . وهنا برزت المقاومة الجزائرية في اسلوب جديد وبفرع هذا الاسلوب الى نوعين من القتال . نوع يتخذ شكلا نظاميا له ادارة وميزانية وحسن تدرب وقادة وروءاء ومسرون ويترغم هذا النوع من المقاومة احمد باي حاكم قسنطينة . والنوع الثاني يتخذ شكلا تطوعيا ، وظهر هذا النوع في الغرب الجزائري برعامة الامير عبد القادر .

وايا كان الامر فان ميل هذا الكفاح لا يمكن ان يتعلب على حسن نظام من سبق اقدامه في عدد من المدن ، واخذ برحف نحو مناطق اخرى .

ففي هذه الاوضاع المعقدة تقلد الامير زمام الامور ، وحاول ان يجمع كتلة الشعب ليرحف على الاعداء ، فوجد صعوبات جملة عبرى طريقه . ففي كل ناحية يضطدم بعدد من العائلات ، يقال عنها : انها تضاهي عائلة الامر في السرف وعمو المرله ، ولم يستطع الامير ان يتعلب على هذه العائلات الا بعد جهد جهيد . ويمكن حصر اسباب التفرقة في أربعة .

اولها : ان الدين يحكمون الجزائري كانوا في الافاليم الناشئة ، سمعوا بسمعة مشرفة منهم القواد ، وهم القضاة ، وهم الحياة . فكلهم لا يرد ، وحكمهم نافذ . فممن انعدوه ، ومن ساءوا اعرفوه . فالجراة عندهم ليس من حسن النعم . وحسن النعم الاسهام ، اما حسب أهوائهم واعراضهم من التأمل في أسس الحكم لا تزال نافذة في بعض المدن مثل (باب الصرب) بترك أو المكان بجزائر .

ان هذا النوع من الحكم يجعل الناس اهل وعسا، واهل اسحادا، واهل شعورا
بالمسئولية، لان الانسان الحرائري قد سلب منه الارادة والسجاعة، والنقمة بالنفس،
فاصبح بهذه الخلائق، كانه انسان عمر كامل، ومن ثم فهو عمر كفء وادن فالمواثيق
... منه فلم يعد عسها، ولمسركها للاسياد الذين خلفوا خلفا آخر لمواجهة هذه
المواثيق وعظائم الامور.

كان السكان مورعين على هذه المناطق المتعاقبة حسب شأنهم وكوتهم
الاجتماعي، فهو، لا، اعراب رحل، واولئك فلاحون فارون أو حجار مستغلون، وجميعهم
مفككون.

والسبت الرابع والآخر: يرجع الى الحروب الاساسيه التي كانت تسببها على المواحق الساحليه من القطر الجزائري.

وعلى الرغم من هذه الصعوبات فإن الامر استطاع ان يعاوم الفرنسيين منذ ان تقلد رغام الحكم سنة ١٨٣٢ الى سنة ١٨٤٧. كان الامر في هذه المدة يرهق الامم المتحدة مع قلعة الشام ان العدو كان اكثر منه قوة ونظاما.

وأوحى هذا النوع من القتال إلى الأمير بأن يسيّر جيشه إلى
الخيام، والخيول، وما إلى ذلك من مستلزمات الحرب، وكان هذا هو
زمانه فخار في أمرها قادة الحشود الفرنسية، والأمير يرى هذا
هو هناك، ساعدت الأعداء من حيث لم يحسبوا، وكم من معركة انتصر فيها
الخط الحربي، ولذلك استطاع أن يقاوم مدة طويلة دون أن يفرض عليه
وكم معاهدة أبرمها الأمير مع قادة الحشود الفرنسية، لأنه كان في موقف لا يحسد
وعلى ما تقدم أن الأمير جمع بين حصار هامبرج، والاحتفاظ بمسيرة
ويتمثل في تنظيم الحشود والرحيل بها أو تحويلها إلى وجه آخر، ثم بعد
الفرصة سانحة لتفرض على عدوه،

وبعد هذا الادعاء قال بعض المؤرخين - ومنهم الزمخشري - في رد
الادعاء يرجع الى عاملين:

أحدهما: ان الأمير لم يستطع ان يفتح البحر برد من حصن البحر
وثانيهما: ان الأمير لم يجد مؤارره من الخزانة سوى من تمديد الحصن و

البلدان المجاورة.

من هذه الوجودات كان حجم الأمر الذي كان عليه
 في حالة الحرائق ما لا يمكن أن يكون له
 السماوية أو الهائلة. وحيث أن هذه الأمور
 ومنه كان أعلم من أن يكون ما لا يمكن أن يكون
 من هذه الأشياء أو السماوية. وحيث أن

أما الأمير أسى عسر نفسا من الموت المحقق، إذ جعل نفسه مأوى
 للمسحور المكوس آنذاك، وأخذ يدافع عنهم في صدق وإخلاص، وقد وضعه
 المؤلف من مآهدي العيان بصفاء قل أن تجتمع في رجل، قال: ((على أن الأرض
 لم يفر من الكرام في ذلك الزمان المرء ولا يخلو زمان مهما كثر نوحس أهله من
 عنه سقى من أهل الفصل والمروءة، قد وجد في وسط أولئك الوجوه الطالبيين رجل
 عظيم المقام، رفيع القدر، عالى الهمة، كثير التمسك بفصائل الإسلام، شريف في
 الحسب والسب، أمير ساء السيف، وساد بالآداب، بطل معوار، ولبت كزار، شهد
 الحروب والأهوال، وفعل فيها فعال البطال، وكان أخصامه في أيام عره أناس من
 المسحورين، فحاربهم كما يحارب الرجل الرجال، ولما حان الدهر وصاعت مملكته
 من يده آثر الأبرياء في دمشق، ليغضى عنه عمره الشريف فيما يرضى الله، وكان
 يكره قبل الصغى بالدسيسة والعدو، ونسبى عما يحرمه دين المسلمين، فظهر من
 تلك الجموع المسحقة مثل لؤلؤة في وسط حجارة صماء سوداء، وعلت نفسه علوا كبيرا
 عن دنائس الأبرار ومكائد المعسدين، وفعال الموحسين، هو السيد السد والفرد
 الأمجد، والنطل الأوحى: الأمير الحظير، والملك الحظير عند القادر الحسني
 الحرائري، صاحب بلاد الحرائر، طيب الله ذكره، ورحمه الف رحمة، وأكر الله من
 أمثاله من الأدميين)) (١).

ثم سئل المؤلف إلى ذكر محاسن الأمير ومساعدته الحميدة مع السلطة
 التركية وخوفاته من كيد الكائدين، وما قام به من إحياسات.

((ولما نعر بذلك الأمير عت رحاله في الليل في كل ناحية من أنحاء دمشق
 محفوا بدورون في حوائسها ويعسون على النصارى فيعودونهم إلى سراي الأمير،
 أسد وخدمهم ويردون عنهم جموع البهائين، ومضى الليل كله والنهار التالي
 والأمير عند القادر جمع هؤلاء الماكسين في سبه وهو يطعمهم ويسقيهم من ماله
 ويواسيهم ويلطف إحيائهم، ويعددهم بحصيف الكرب، ويهدي روعهم، وما سمع
 الناس بأشرف من هذا السد العظيم)) (٢).

وسمى المؤلف مرة أخرى في ذكر محاسن الأمير ومساعدته الحميدة وخوفاته
 من بعض الأسرار الذين جادوا عن التعاليم الإسلامية، ويدرك الأمير أن مفاصل
 الدول لا يستطيع أن يقوم بأي عمل إحيائي إزاء السلطات التركية، بسبب اختلاف
 عقيدته.

(١) حبر اللثام عن نكتات الشام، من ٢٣٠ المؤلف مجهول، ط ١٨٩٥، الطبعة
 الأولى.

المصدر السابق

أما الأمير فقد أثار في المهاجرين بحكم ماضيه في الجهاد، وأصبح اسمه
 من الطائعين.

هذا وإن صاحب الساق عن الساق (١) قد مدح الأمير بعصيده عزاء، تقع في
 سبعة وخمسين سنا، استفتحها بقوله:

ما دام سحسك عائنا عن باطري
 ليس السرور خاطر في خاطري

يسمى المؤلف في ذكر أسواقه ومحسنه لعقد العروبة والإسلام إلى أن يقول:
 سكن الأمير وطار في الدنيا اسمه وروى المعالي عنه كل معاصر
 فالعجم بين موفر ومحل والعرب بين معاصر ومناظر (٢)

والعصيدة من أولها إلى آخرها يطر بها صاحب في بعض المؤلف من الصدق
 والإخلاص، مما يدل على أن الأمير كان يسمع سمعه طيبة في المشرق العربي، وهذا
 يرجع إلى جهاده الطويل الذي جاهده لسعد بلادته من الغزاة الدخلاء، ولما شئ
 من النصر اعتمض بالمل العلى التي هي سببه المحاهد من الصادقين إلى أن وافق
 المسنة، والباس عنه راضون.

أربط باريخ الأمير بأسيائه وأحقاقه:

أربط باريخ الأمير عند القادر بكفاح أسائه وأحقاقه من أجل وطنهم الحرائر
 مل محي الدين، وعلى، وعمر، وعبد المالك، وخالد.

إن هؤلاء الأمراء كانوا سباحون وطنيه وعمره على الحرائر، وسوقون إلى
 يوم نصر فيه الحرائر دولة مسولة.

يقول بعض الوثائق: إن محي الدين كان يجمع مع أسبه الأمير عند مدبر
 في المنفى بدمشق، ثم أصيب بمرض أو عارض حتى نحد الفرصة لاجتماعه بدمشق
 عن أسبه. (وكانت الحرب قد قامت بين فرنسا وبروسيا، وطن أسبها بطول سببه
 فخطر بباله أن يسهر الفرصة لاجتماعه وطنيه الحرائر من يد فرنسا، ويرسل عنه سكر
 والعس، فيوجه بقصد الريارة إلى الديار المقدسة، فحينما وصل إلى الإسكندرية توجه
 منها إلى تونس، ولم يعلم أحد سببه الحميدة، وبعد مرور شهر أكتوبر ١٨٩٥
 واستقبلته الدوائر الرسمية التونسية بحفاوة، ووجهه إلى محي الدين محمد بن عبد
 الإفشار) التونسي يوم ١٨ نوفمبر واعتكف على دراسة المصنفات العربية
 والتعرف على الخطوط العرسية، وبحسب الاتصال بالباس عن في مصر.

(١) أحمد فارس السدياق، أعني الإسلام، (٢) ج ١، ص ٢٩٥، مصر ١٩٥٠
 مصر، بدون تاريخ.

وكان يريد الذهاب الى الجرائر غير ان السيرة التي نالها من السلطة
 في ذلك حال دون ذلك خوفا من ان يتكشف امره... بعد اقامه قصرة سوس
 في رها محي الدين بخرى الى الشام في الظاهر يوم ٢١ نوفمبر بعد ان لاحظ ان
 الدوائر التونسية متعولة عنه فياكلها الداخلين. وعندما وصل الى مالطة حول
 الجزائر الى طرابلس الغرب. ومن هناك الى تور. وعطه. وطراوه. محمدا في رى
 مغرب مع عدد من الرفاق. حتى لا يعطى اليه اعين المحاربات التونسية التي
 حدث بسبب احباره وسفينة بعد ان عبرت السلطات الرسمية بطريرها نحوه.
 واعطى علماء الشرطة والولاة في الاقاليم لاعتقاله حسبا وخذ. وقد يكون الاعوان
 الفرنسيون سوس هم الذين اثاروا سكونها. ودفعوها الى غير موقعها منه بعد
 السكر الذي احاطه به في المدة الاولى (١).

سحب محي الدين من السلطات التونسية وصل الى الحدود الجزائرية
 اسرف. ونصر برعما. النوار. وهم تربعان. فربى كان قد فر من الفرنسيين سابقا
 ومربى لا يكون جديدا تحت الظروف الراهنة آنذاك. واهمها الحرب الالهامة
 الفرنسية.

اجتمع الامر محي الدين برعما. الفرنسيين ورضوا به رئيسا عليهم حصعا.
 في اوائل سنة ١٨٧١ قدم الامر بالناشر الجرائريين الى قرية بقرس.
 وقد كان يظنها حتى اسر حمر وجوده وحظته الحربية ضد الفرنسيين لاسرجاع
 استقلال الجرائر. فرائد برعما. الصحراء. وقرحون عليه ان يحه السهم حسب هم
 في الحروب. ولكن الامر فصل ان يحه الى السريعة وسه.

وفي يوم ٩ مارس دخل الى بقرس ووجد عليه هناك وقد من اولاد حليقة
 الناشر بالسريعة. فاجد معهم الى سكراته. ثم الى السريعة. وحبل الدكان. وسعر
 المحروون الاورسون بالحظر تحضوا بعده سبه. واعلقوا انوائها. والحا معمر
 حلوب الارسون الى مكانه (٢)
 المعركة:

كر حياش النوار بقيادة الامر محي الدين. وكسر المظوعون وسمع بهم
 القاضي والداني وكان لزاما ان يحدث معركة ناصلة يكون في صالح العدو. وذلك
 حسب...
 حيث...
 باسمهم...
 باسمهم...
 باسمهم...

(١) الاصل السد الحامه. عدد ٢٨. ٢٥
 المصدر السابق

(وفي يوم ٢٦ مارس اصطف محي الدين القواي الحمر في...
 الحصة. وحصلت بين الطرفين معركة كسرة فوق فيها الفرنسيون

بعد استصار الاعداء على الامر وهو انه رأى ان يصحب في حدود...
 ثم رجع الى الشام. ونفسه يحسر على ما آل اليه امر الجرائر.

اسهرم الامر محي الدين في المعركة. وحجر كل الحجر لتسحق...
 ولم يدر بجلده. ان معارك أخرى يقوم بها افراد من أسرته كالامر عند...
 والامر خالد. ثم أبناء الشعب الجرائري الى ان سحر الجرائر كل الجرائر.

الامر عند المالك

بدأ هذا الامر مقاومته للفرنسيين منذ سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩٢٤. وهي
 السنة التي استشهد فيها في معركة حامية الوطيس ضد الفرنسيين بالقرية القصيرة

عاش الامر في المصرو الفرنسي قرية سائكة ومعقده. حتى في المصالح
 المضاربة بين عدد من القواي. المتباينة من جهة والمداخل من جهة أخرى
 والمشاركة من جهة ثالثة. فهناك: المسألة الشرقية. وهناك المسألة المصرية. وهناك
 المسألة المغربية. وهناك القومية العربية. وهناك القومية الاسلامية...

كل هذه القواي كانت توتر في النفوس. ويوحى بشاري. حذره. اعلمه
 السبات والكهول. وصارعت بسبب ذلك القيم والعقائد. وبما تربت الانحياز
 والسرعات. ويحدد التفكير والهدف. ومن بين هؤلاء الذين عاشوا في حصة هذه
 الصراعات والسرعات الامر عند المالك. وعلمت عليه السرعة النوصية من جهة
 افراد أسرته. فزاد الامر ان ينحو بالحس القضاي. فملا ان ينصر بوجهه
 الاسلاميه تحت لواء الدولة التركية. التي لا يزال يدعو المصمري الى بوجهه
 كلمهم تحت لواء الاسلام.

استطاع الامر مالك ان يرفى الى درجة عمقه في اواخر القرن التاسع عشر
 وهي الفترة التي تنعت فيها المسألة الشرقية بوجه سفيها.

وفي هذه الانما. كانت فرنسا توحى حذره من الجرائريين...
 الخارج. وخاصة من لهم مناصب علما في الجرائر... والامر...

(١) المصدر السابق

وساء على هذه المخاوف الفرنسية، رأت فرنسا أن تفتح بابا في جميع المناصب ومنها ما يتعلق بالأمن والدفاع، لهؤلاء الحرائريين عسى أن يتركوا الدولة العثمانية وينضموا إليها لتخفيف من وطأهم ومن مساعدتهم الوطنية كي ((يساهموا في الدخول في حركة القومية الإسلامية)) (١) وخاصة وقد رأت السوراب الحرائرية المصاليه منذ احتلالها للقطر الحرائري الى هذه السوراب التي ظهرت فيها القومية العربية والعربية الإسلامية.

وسجدة لما تقدم اعسم الامير مالك الفرصة والنحو بفرنسا وفور وصوله عسبه فائدا لقوات الشرطة في طبعه. وذلك سنة ١٩٠٦. وقبل الامير هذا المنصب المتواضع على مضض، وفي بعضه أمر، سوف يسفر عنه المستقبل العربي.

وفي الفترة الواقعة بين ١٩٠٦ و ١٩١٤ كانت الحرب الباردة قائمة على قدم وساق بين ألمانيا وفرنسا حول عدد من القضايا التي تتعلق بالمستعمرات سواء في المشرق العربي أو المغرب، وخاصة افليم طبعه حيث يوجد الامير مالك.

وساء أن فرنسا عدوة الحرائر فقد رأى الامير أن يكون في صف أعداء الفرنسيين. وفي مقدمتهم ألمانيا العدو للحدود لفرنسا. وما أن اندلعت الحرب العالمية الأولى بين فرنسا وحلفائها، وألمانيا وحلفائها حتى كان الامير يحارب ألمانيا هائعا من الحطط السرية الفرنسية.

وبعد هذا الحادث سارع الامير الى نقل عائلته الى اسبانيا. ثم أعلن الحرب ضد فرنسا سنة ١٩١٥، وأساءت فرنسا من الامير فاعربت الى اسبانيا بطلب منها ارجاع الامير مالك الى فرنسا. ولكنها لم توفق. وعلى الامير يحارب الفرنسيين بصراوه آملا أن ينصر ألمانيا وحليفها تركيا الدولة الإسلامية، وبذلك تضعف سوكه فرنسا العدو للصوب العربية والإسلامية.

((بدأ الامير مالك ثورته أولا في افليم بانه. شمال شرق فاس المدينة التاريخية، والفرجة من الحدود المغربية الحرائرية. وساء على قول أحد الكتاب فإن هدف الامير مالك كان إعلان نفسه سلطانا على المغرب، وجعل فاس عاصمة له. وقد سجع الامير في كسب المواطنين المغاربة الى قصته، ومن بين هؤلاء زعيم ثورة اريف بعد الحرب: الامير عبد الكريم الخطابي الشهير الذي كان عندئذ ما يزال موطعا في الادارة الاسبانية في سلسلة. وقد عمل الامير الخطابي كفائما بالاتصالات للامير عبد الملك مع القوات التركية من خلال اسبانيا للحصول على الاسلحة والعتاد)) (٢)

(١) الحركة الوطنية الحرائرية. ص ٢٥٩. الدكتور سعد الله. دار الاداب - بيروت
سنة ١٩٦٩ الطبعة الاولى

(٢) المصدر السابق، ص ١٦١

وبسط الامير مالك في قصيته ووجد نفسه مؤثرا من الداخل ومن خارج ويكتب الى اخيه الامير علي بين له خطته العسكرية للاسبانيا على ان يسحب ثم سرعان ما تنقل مختلف الصحف العالمية خبر استماراته على الفرنسيين حتى خسروا في المعارك عددا كبيرا من جنودهم يربو عن سعمائه قتل.

وفي سنة ١٩١٨ خسرت ألمانيا و تركيا الحرب. وبوقعت الاسلحة التي كانت تصل باستمرار الى الامير فاجحه الى اسبانيا عسى أن يجد مساعده مادية جديدة. تمكنه أن يخوض الحرب مرة أخرى ضد فرنسا.

((وفي ماي ١٩٢٣ كان الامير مالك في تطوان بجند الحدود. ويكن فرنسا سرعان ما احتجت على اسبانيا على أساس انه كان هاربا. وأنه قد أعلن الحرب ضد فرنسا. وعندما لم تجد اسبانيا بدا طلبت من الامير التحلي عن مكان العار. وفي السنة التالية سجع في تحييد عدد كبير من الحدود من الطرف الم فادهم في حملة صادف أن كانت آخر حملاته ضد فرنسا)) (١). اد استشهد في أوت سنة ١٩٢٤.

الكتاب الحامس

الحركة الاصلاحية

الفصل الاول : خير الدين التونسي .

من اصل تركي . احتفظ صغيرا . وبعث في الاساقفة . ثم تبع مذهب اخرى .
وكيل احمد باي تونس . فبنا في القصر . واحد سبعة مائة . انفق وامول السيرة
وعلم الكلام . ثم تولى قيادة الجيش التونسي .

وبما ان خير الدين بعدة خصال حميدة . بل ان جميع في واحد . فقد كان
معدنا . محللا لمولاه ولوطيه . رتبها وواعيا . ان هذه الخصال جعلت موضع
مولاه : احمد باي . فاستد اليه عددا من الماصب الكبرى . وفي مقدمتها قيادة
الجيش التونسي . والدفاع عن تونس سياسيا خارج تونس اثناء محاسنها الاولى .
كانت هذه المهمة شاقة . ومع ذلك فقد تحمل خير الدين عنها السبل في
اوقات حرجه . وقام بها احسن قيام . (١)

والى جانب المهام التي عيبت له وقام بها فقد رأى ان يهين تونس بهمة
بلائم ما سطر منه . ويعيق آثار كبار الدول الاوربية لتعيق تونس بعدا جديدا
سعدتها مما سخط فيه . ومما عسى ان تقع فيه . فكان ان نادى الى الحظوظ وضع
المساريع الضخمة . وأسرع في تطبيقها حتى خرج الى الوجوه وبراها المستويين
والاهالي فبرداد حماسهم ويستحقوه على موصله المسيرة . فبنا مصر
السفن . ثم خطا خطوه اخرى نحو الديمقراطية الحقة . فكان محللا لما كان
عددا من الاعضاء البارزين . وهو على رأسه . وقد غره كل الغرم على ان يصح
ما افسده الابدى الاسم . فكان يستسر أعضاء المجلس ويرجع الى القواسم لخدمته
الكلمة العاصلة فيما أشكل عليهم .

انطلق خير الدين في صدق واحسان . ونكته ما كان يحضو حصوه . ثم اذ
حتى وضعت امامه عراقيل . وكلما حاول ان يعطي عليها جديدا . فمرفوض
اخرى . . . واخيرا ادرك ان الطريق قد ساءت . وان العطب عسى ان يفر من
مريدا من الصبر والمعاناة . فقرر منه وتبرع نفسه ان يمدد كل ما هو وسعة حتى يفر
على المعرفلين ويريل من امام تونس كل العقبات .

(١) هذا الباب فصله : خير الدين ومذاهب مصر . ورواه : الكتاب الحامس .
من ص ١٤٦ الى ص ١٨٣ ومن ص ٢٦ الى ص ٢٧ .
سنة ١٩٤٨

كانت في تونس ثلاث قوات متصارعة ظاهرا وباطنا: فوه تسعى الى الإصلاح، وبس الوعي القومي في الاهالي، ورعيها: خير الدين، وقوتان بفضلاء المصلحة الخاصة على المصلحة العامة. فوه حزبادار ورير المالمه. وفوه الباي، ثم سعيهما رجال الدين، ودوو المصنعة ممن لهم سلطة ادارية او سياسية.

وأخيرا غلبت القوات المتعاضدة على فوه الإصلاح، فاضطر خير الدين ان يقدم استقالته قائلا: (لقد حاولت ان أسير بالامور في طريق العدالة، والنزاهة، والاحلاص، فذهب كل مساعي سدى ولم أشأ ان أجدع وطني الذي سياتي بنمساكي بالمصائب، ورأيت ان الباي، وعلى الاخص وزيره الرهيب العظيم الحاه: مصطفى حزبادار لا يلحآن الى التشريعات الإصلاحية الا لتبرير سيئاتهما تبريرا قانونيا، فقدمت استقالتي سنة ١٨٧٩ من رئاسة المجلس، ومن وزارة الحرسية، واعدت الى حياتي الخاصة) (١).

وبعد الاستقالة لم تنقطع صلة خير الدين بالباي او بحزبادار، لان الاول مولاه واناسي: صهره.

سعى خير الدين معتزلا بالحكم مدة تسع سنوات. وهذا من الناحية الرسمية، ولكن من الناحية الواقعية فقد كان دائم العمل لصالح تونس. اتصل بأوروبا عن كثب وعرف أساليب نهضتها وتغوقها، وبأمر من الباي سافر الى عدد من الدول الأوروبية في مصايا وطنية، ونجح فيها الى حد كبير.

وفي هذه الاونة ظهر حزبادار على المسرح السياسي التونسي، وخلا له الجو، وكان رجلا حقا وذا نفوذ قوي، وكان الباي يجاريه في سياسته، لانه وجد فيه الرجل الذي يصحى مصالح الشعب في سبل العصر أولا ثم في مصلحة الشخصية بعد ذلك.

استطاع حزبادار ان يهيمن على شؤون البلاد، وان يلقي المجلس النيابي، وان يقرض صرائف جديدة حتى انقل كاهل الشعب، واستنزف خيراتهم، ولما ضاقت به البلاد، ولم يجد موردا لعصر الباي، وفنصوره لحا (الى أوروبا يستدين منها، وفي اقل من سبع سنوات بلغ الدين ١٥٠ مليون فريك) (٢).

عصر الباي بان بلاده سوف تحاق بكارثة على يد حزبادار، وخاصة ان الدول الأوروبية احدثت سوحس حمدا على ديونها، واصبحت تلح على الباي ان يتفهم

المصدر السابق، ص ١٥٧

المصدر السابق، ص ١٦٥

الوضع، وان يشكل لحانا خاصة بالدور للسطر من حددتها وصارها حجة على خير الدين. وفي هذه الازمة الشائكة اضطر الباي ان يفعل ما امرجه الدول الأوروبية: فحجب تكوين لجنة لدراسة مسألة الديون التي على حرسه الدولة التونسية.

وبالحاج من الباي قبل خير الدين ان يكون رئيسا للجنة الحكومة من مستشارين وايطاليين وانجليز.

استطاع خير الدين ان يحدد الدين لكل دولة، وان يحدد تونس من مصير تلك الدول التي كانت تريد بها سوءا. كما استطاع من جهة أخرى ان يخلص تونس من الافلاس في صهره حزبادار، ثم يحاكمه ويدان أمام المحاكم بدفع حصة ومليون فريك (١).

خير الدين الوزير المفوض

وبعد حزبادار أصبح خير الدين الوزير الاول والمفوض بتسوية الشؤون المالية. له الاهالي، لما يعرفونه منه من براهة وصدق في العمل. في هذه الفترة، مع خير الدين مرة أخرى وصمم على بعث تونس من جديد، فسعدوها ما يحسنه من المرض، والفقر والجهل، فحفف الضرائب، وسجع عرس الرسوم، وأسطع عرس المدارس، ثم اتجه الى بعث الدول بدرس نواتها، ونوايا دولهم، ونوايا تونس فوجد فرنسا تريد ان تنقص على تونس، وكذا إيطاليا، فرأى ان يصرف حروبهم ببعضهما، وان يغوى الصلة بين تونس والدولة العثمانية، وخاصة ان كان يصر في هذا الشأن وشرح له وجهة نظره، فأجاب الى طلبه (٢).

كان ينبغي على الباي ان يرحب بهذا المصير، فحضر الباي في تونس، وشرح خير الدين ليجعل حدا لاطماع الدول في تونس ويترك الباي يعرف من مصلحة تونس، فالتحق بالدولة التركية بطريقه فعليه من بعد سلطته، وهذا النوع من سياسة التصرف في اموال الدولة بفعل بها ما يشاء الباي، ووجهه بوجهه، وهذا الدمع او الكنفدرالية التونسية التركية، كما ان الباي يقرر ما يشاء.

في هذه الظروف الصعبة لم يجد خير الدين الا ان يصر في سياسة تصريفه، ويعمل من اجله، ويصحى في سبيله، ولم يكن فوه التبرير، فوجهه بوجهه، وهذا النوع من سياسة التصرف في اموال الدولة بفعل بها ما يشاء الباي، ووجهه بوجهه، وهذا الدمع او الكنفدرالية التونسية التركية، كما ان الباي يقرر ما يشاء.

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

ثم يقول: (ومن دواعي الأسف ان هذه النظرة الى المدينة العريقة، لا تزال تؤثر في بعض النشأت في الأمم الإسلامية، وان احتلقت درجاتها في الأضواء الى هذه الدعوة، كالخوف من علم المرأة، ومن الاستعداد من التفرغ الحديث، ولعل هذا من الأسباب التي جعلت الصاري والمسلمين اذا اجتمعوا في قطر واحد كان الصاري أسبق الى سرب المدينة الغربية، والاستفادة منها، ثم تأتي بعض الناس فيسبون ذلك الى طبعه الاسلام، والاسلام لا يسمع أن يفتن الصالح من الأمر، حيث كان، ومن كان) (١).

الفصل الثاني: مدحت ناسا

عاصر مدحت ناسا عددا من سلاطين آل عثمان محمود، عبد المجيد، عبد العزيز، ثم عبد الحميد.

كانت الحالة في عصر هؤلاء السلاطين مدهورة اقتصاديا وسياسيا، ونظاميا، بل عسكريا ايضا، انعدم الأمن، فعم الاضطرابات وأصبحت المناصب على اختلافها تعطى بالرشوة، والضرائب تزداد بالسياسة، والشعب يعيش في جهالة جهلاء، والسلاطين يفكرون بفعول الفروع الوسطى، ويقدمون مصالحهم على مصالح الشعب، وكان الحياة في المملكات المادية الرائلة، فسوا العصور، واقتنوا الآباء، والخدم، وحصوا لذلك أموالا طائلة فافلوا ميراثه الدولة، حتى أصبحت عاجزة، فاستدات الحكومة من الخارج، فكان الدين سدا في التدخل الاقتصادي، وزاد الطين بلة، ان سلاطين آل عثمان كانوا يعرفون من الطوائف الدينية، فهم يحكم عقيدتهم الإسلامية، يحلون الى المسلمين، ويعفون من غيرهم، ولكن التركي مفضل على الجميع.

أدى هذا النوع من المفاضلة الى استغناء أمم الدولة العثمانية في كل مكان، فاستغنى شعوب السلطان: النموس، الهيرسك، سربيا، البانيا، اليونان، بلغاريا، رومانيا.

كان في هذه البلدان ثورات، وحروب، والتي حاسنها كان الروس يتدخل حينئذ الى بعض هذه البلدان، فيخلق الساسة الأتراك، ويحدث اضطرابا في خططهم، يخاف الى ذلك تحركات إنجلترا، وسهيدات فرنسا، وتربصات الشعوب العريقة، وروسيا، مثل مصر، وسوريا، والعراق.

(١) المصدر السابق، ونشير الى ان فائدي سمر ما سمر به خير الدين، ودعا اليهود الى اخراج جميع ما يملكونه من اثاث الانجليز، ومن ذلك عن طيب عيسى، وهو صلاح سليم، ولكنه مؤثر.

وأخيرا: الحركة الوهابية التي رعرعت تركيا، وساعدت على بعضها من حب ودخول الدول الاستعمارية الى الاراضي العريقة من جهة أخرى.

ظهر مدحت والدولة العثمانية على ما وصفا، فرأى ان ساعه ما توسع من علم وحبره عسى أن يفيدها مما هي فيه، وسمعت بها الى الامام، فان الدول الاوربية التي كانت بالامس القريب تعاني ضعفا لا يقل عن الضعف الذي أصاب تركيا، ومع ذلك، فقد استطاعت تلك الدول الاوربية ان يبعد عنها من الضعف وأن تستلقي نحو البناء والتشييد، لاسها عالجت مشاكلها مقالحة صحيحة، فحسب أمورها من جميع نواحيها فعمرت الداء، وكان يتمثل في الفوضى والخراب فطمت نفسها ووحدت صفوفها، فاداء هي واقعة على قدمها طالب بالانفعال البناء عن الدولة العثمانية، وكان لها ذلك بفضل كفاحها من جهة، ومساعدة الدول الكبرى لها من جهة أخرى.

كتب مدحت يقول: ((ان السدير في الدولة قد بلغ درجه لا يطاق، فنظاره المالية ترسل الاموال الى المايين فيصرفها السلطان في ملذاته، والنظاره يعمرون الوظائف بيع السلع، فالوالي يشتري وظيفة من الصدر الاعظم، ويذهب الى الولاية فيستغل أهلها بأنواع الظلم، حتى حرب الولايات، ووقعت الدولة في أزمة سيئة ولا سبيل الى الخلاص منها الا بتعديل الادارة الحالية، وسدتها يكون مجلس ناسي، وجعل النظر مسئولين امامه، وان يكون هذا المجلس قوما، فلا فرق في انتخابه بين المداهب والعناصر، وأن يوضع الولاية في الولايات تحت امره (السديدة) (١)).

يلخص أحمد أمين هذه المعاني كلها في كلمة واحدة هي الدستور، وهو يعني أن الدولة العثمانية في هذا العهد كانت في حاجة ماسة الى الدستور الاجتماعي، وهذه العدالة لا يمكن أن تنطق بطقها فعليا وشرعا الا بوجود دستور، لان الدستور هو الذي يجعل ما ليس بالقصر، وما ليس بالقصر.

عسى مدحت صدرا أعظم، ونفعا لالناس، واقسم المحاضر، الدستور هو الذي اصدار الحق عن المصالح السياسية الذي اعدوا من وظيفهم بجهلهم، فمدحت حركة الاصلاح التي كان مدحت قد برعها مع عدد من السلاطين العثمانيين.

واحدة مدحت مشاكل مفقدة. بعضها تتعلق بالدول المجاورة، وبعضها يتعلق بشئون تركيا نفسها. حاول أن يتغلب عليها جميعا، على أن يبدأ المعالجة من الداخل، حيث الداء قد استمرى. بدأ أولا بتحديد ميزانية السلطان. وهذا صرب من الجراءة لم يألوه سلاطين آل عثمان. فهم قد تعودوا أن تطاع لهم الاوامر، وأن تلبى رغباتهم، ثم بعد ذلك تطاطا لهم الرؤوس في احترام واكبار.

هكذا تعود سلاطين آل عثمان. فهم لا يقدرّون أن أحدا سوف يولد في تركيا في يوم ما ثم يأتي ليقول للسلطان: إن مصلحة الأمة تسوجب شيئا من التصحية. إن هؤلاء السلاطين يفهمون معنى التصحية بمفهومين:

١ - أحدهما الخنوع. أعني أنهم يشعرون بأن بأسهم وعظمتهم وعزيتهم... كل ذلك ذهب، وأصبحوا كأنهم أناس كبقية أفراد الشعب التركي.

٢ - ثانيهما: التقشف. كان الحياة في نظرهم أن يعيشوا هم كما يحبون، ويعيش الشعب فقيرا. وبذلك تتسع الشقة فتظهر عظمتهم من جهة، وتتحدد الشعبية للرعية من جهة أخرى.

صيق مدحت على السلطان عبد العزيز وعلى حاشيته، فلم يفتح لهم خزائن الدولة، كما كان يفعل من قبله ممن تولوا رئاسة الوزارة، فأحدث هذا الضرب من الحرارة في نفس السلطان امتعاضا، ولكنه أسره في نفسه ولم يبدئه لاحد، في انتظار الظروف الملائمة.

تظاهر السلطان بالموافقة التامة، وظن الناس، وظن مدحت أن الوقت قد حان لبعث الأمة التركية من حديد، فأخذ في وضع المشاريع الضخمة، التي تعود على الأمة التركية بمنافع حمة. وأهم هذه المشاريع:

إنشاء حيط حديدى يربط بغداد وسوريا بتركيا، والاسلاك التلغرافية وتوحيد المكابيل والموازين، إلى جانب المواقف السياسية والوطنية التي أظهرها في أوقات الشدة كاعتراضه على القرض الذى تقدم به اسماعيل خديوى مصر، إلى السلطان، يطلب منه أن يآذن له في الاستدانة من دولة أجنبية.

قال مدحت (إذا أصبح له ذلك، تدخل الاجانب في شئون القطر المصرى، وضاع استقلاله الادارى والسياسى معا) (١)

(١) المصدر السابق، ص ٣٩

تعلق استدان اسماعيل من الدول الاجنبية وخاصة انجلترا اموالا طائلة، وغرضه أن يسهم بمصر نهضة قوية ليساير الركب الحضارى الذى بدأ ينجلي في الدول الأوروبية، ولكن ما كاد يخطو مصر خطوه حتى وجد نفسه مكبلا باغلال الديون الاجنبية، فعدت مصر بهذا الدين استقلالها كما تنبأ مدحت. ومثل هذا حدث في كثير من الدول الاجنبية.

لبيت مدحت بعض الوقت يصارع الاحداث، ويحاول جاهدا أن يثبت نفسه بالصبر والمثابرة، ولكنه ما كاد يعصى في رئاسة الوزارة شهرين ونصفا حتى وجد نفسه مصايغا من السلطان، فاعتزل الحكم، وضاعت بذلك مسروعاته وحسرت آلامه اموالا طائلة دون أن تستفيد مقال ذرة.

عسى مدحت اثر ذلك وزيرا للعدل، وكان السلطان أراد أن يرحل عنه إلى منصب سلبى لا خطر منه، كما تعود على وزراء سابقين كانوا قد تغلبوا هذا المنصب واستغلوه لصالح السلطان. رأى مدحت أن البلاد قد أصيب بكمه من سوء الاموال الطائلة التي انفقت في مشاريع كانت حبرا على ورق، وأن الإصلاح لا يزال بابه مفتوحا أن حسنت النية وصدق العزم. وبتمثل الإصلاح في الدرجة الاولى من الدستور. وهو ما كان يحلم به منذ أمد طويل.

صادف أن القى السلطان عبد العزيز خطاب العرض، وتحدث فيه عن الإصلاح فوجد مدحت الفرصة سانحة في أن يستغل كلمة الإصلاح معتمدا على السلطان يستجيزه ما وعد، وأشار فيها إلى المشتات الخيرية التي كان السلطان قد أسرى عليها، والتمس منه أن يردها إلى الاوقاف، لتصرف اموالها فيما حصص له. إلى غير ذلك من المسائل الهامة التي يراها مدحت سببا في تأخر الدولة.

عرض مدحت هذه الافكار على جميع الوزراء، فوافقوا عليها وكلف من بعده منهم الاتصال بالسلطان. وبمقدمات، وتمهيدات عرض جوهر الموضوع على السلطان، ((فلما سمع كلمة الإصلاح والشورى هاج هائحه، وأصدر أمره من اجل عزل مدحت باشا من الوزارة، وابعاده بتعيينه واليا لسلانيك... ولم يمكث مدحت طويلا في سلانيك، فعزل بعد ثلاثة أشهر، وأخذ يصلح في مزرعته، وتفرغ من أمته.

كانت هذه التتبعات الجائرة التي سلطها السلطان على حب الشعب. بعد في أن يكتسب مدحت عطفا وتأيدا من جميع فئات الشعب، وهو مقدمهم يوم المناصب الكبرى، وفواد الحشوش، ثم الشاب المسمر، ولم يبق أمام مدحت إلا المضائق الكبار، فرأى أن يسجل عددا منهم ثم يفرر فراره السهاش ضد السمر.

وفي اليوم الموعود اجتمعت قوات الحصن الثرى والبحرية، وأخذوا بالصراع بالعصر، وبعثوا إلى السلطان من بحيره بقرار الغرل. (١) فاستجيب لهم بالسر فاشهدوه العساكر، والاساطيل، والجموع المحشدة، فاستسلموا وأسلموا. ووضعه في قصر محم ومعه والدته ولانمائه ابنه روجا، وحوار مصر.

(١) المصدر السابق، ص ٤٠

ووصفات، وخدمات، واختصروا حاشيته فاستغنوا عن ١٢١٠ سائس و ١٠٠٠ طيلكار
(حامل طيليات الطعام) و ٦٠٠ قواربي وأمثالهم من الخدم، وقطعت مرتباتهم
للمصاغة المالية التي حلت بالدولة.

وبعد بضعة أيام وجد السلطان مقتولا، فقيل: إنه اعتدى عليه بالقتل، ويرى
الأكثرون، ويقرر جمع من الأطباء، ويؤكد ذلك مدحت: إن السلطان أخذه العزة
مقطع شريانا من ذراعه بمقراض فمات (١).

سحب مدحت في عزل السلطان، وبحكم الدستور عين مراد سلطانا خلفا
للسلطان المخلوع، ولكن هذا السلطان الجديد سرعان ما أصيب بالجنون، وحل
محل السلطان عبد الحميد، وافق عبد الحميد على الدستور، وسارت الأمور سيراً
حسناً، وكان مدحت يبذل كل ما في وسعه لانفاذ أمته ممن يترصون بها الدوائر،
كالروس...

ومع هذه المحمودات الجبارة التي كان يبذلها مدحت، فقد عزل من منصبه
سحجة أنه يسعى إلى إلغاء الخلافة، واستبدالها بالجمهورية.

أدرك مدحت أن تهمة قد لفتت له، وإن عليه أن يشيع في الناس حقيقة
الامر حتى ينكشف المتآمرون، (وخاف السلطان من الرأي العام، فطلعت الجرائد،
ومن ضمنها الجوائب، ترمي مدحت بأفصح التهم، هذه نقول: إنه أراد أن يجعلها
جمهورية، وهذه نقول: إنه أوقع الدولة في مشاكل خطيرة، وادى الشعر رسالته،
واشتت فيه مضائق هجاء بلغة، وأظهر كثير من المعتمدين ابتهاجهم، وقالوا: إنه
يريد فصل السلطة الدنيوية عن السلطة الدينية) (٢).

قال أحمد أمين: (والذي يقارن بين الجرائد منذ أربعة أيام، وبينها اليوم
يعجب لهذا الانقلاب العرّيب، من مديح رنان، إلى هجاء رنان) (٣).

عطل الدستور، وأبعد مدحت، ثم سمح له أن يتصل بأهله، ثم عين واليا على
إزمير، ثم أسندت إليه تهمة قتل السلطان عبد العزيز، وزج به في السجن، وعانى
من سخايبه ما يعوق الوصف، وأحيرا وحده ميتا.

(١) المصدر السابق، ص ٤٤

(٢)، (٣)، المصدر السابق من ص ٢٦ إلى ص ٥٨

كان مدحت قد اكتشف وأصحابه قرب أحلهم على يد السحاس فكتب إلى
أهله يحبرهم بأن ((هذا المكتوب آخر ما أكتب فيما أظن فقد أهدوا ما
والمداد، والورق، وضيقوا علينا الخناق، وقصدوا تسميعا واحدا بعد واحد، ولكن
ظهرت بينهم، ولا بد أن يصلوا يوما إلى غرضهم، فإذا حاكم حبر وفاني من
كتابي فلا تحزنوا)) (١).

مات مدحت وووري جسده في التراب، ولكن أفكاره انتشرت وفعلت فعلتها، فاندلج
ثورة عارمة هزت أركان الدولة التركية من أساسها، وفصت على عبد الحميد كما
فصت على الخلافة العثمانية نفسها، وبعثت تركيا من جديد لنفس على الصادي
التي كان ينادي بها مدحت في حياته.

مقارنة

وبالمقارنة بين المصلحين الكثرين: خير الدين، ومدحت، يدرك أن تفاوت
بينهما في النزوع، فخير الدين يدعو إلى الإصلاح ولكن في آباء، ويؤيده، سيم
مدحت قد يدر انقلابا ضد الطغاة إذا وجد الفرصة سانحة، كما فعل السلطان عبد
العزيز.

ولعل السبب يرجع إلى أصل المصلحين، فمدحت تركي أصل، له سيرة، ووجه
بيع ولم يتبن، بينما خير الدين كان مولى، واشترى، وبيع، ثم اشترى وبيع، ثم ربح
ونشئ، وعلم.

إن هذه الظروف التي مر بها خير الدين تجعله ينظر بأنه صانع مولا،
والمرءة تحتم عليه أن يعترف بالجميل لمن كانت لهم عليه أساد سما، ومرة
فعليه أن ينصح لهم ما استطاع، فإن أفاد النصيح فذاك، أو فأرض الله وأبعد.

وهكذا كانت وجهه نظر كل واحد منهما تحالف الآخر، فاعتكر ذلك عمرو
سلوكهما إلى آخر حياتهما، فحياة خير الدين كانت سلمية، فاستحب من يوسر
تركيا ليموت فيها موة طبيعية، ولم يتهم باغتيال، أو انقلاب، بينما مدحت تركي
الجنون كان يحب وطنه ويعتبر به، ويسعى جاهدا من أن يحرره من يد المصطفى المبر
وربوا العروش بارثا أبا عن جد، فأضاعوا ما ساء الآباء والأجداد، بسبب المصطفى المبر
وكان الحياة عندهم، السلاطين في الأكار من الحوارى والخدمة، والمقصود...

كان مدحت ضد هذه الأساليب المصطنعة، فحاول أن يغير الأمور إلى غير
بأحدى الطريقتين: طريقة الحسنى، أو طريقة الصرامة، إن أمكن الأمر، فمدحت
الرجب في قلوب أولئك الحكام، فلم يعمم لهم غير حبر موصوف.

(١) المصدر السابق من ص ٢٦ إلى ص ٥٨

السياق السادي

الحركة الاسلاميه

الفصل الاول : جمال الدين الافغاني.

يزل جمال الدين الافغاني مصر، والوطن العربي يمر من أفضاه الى أفضاه
باحظر مرحلة عرفها في تاريخه الطويل. هذا استعمار خارجي تكالب على الحس
العربي بتسعة في كل مكان. يحصى خطاؤه، كأنه حس من نوع الساطن تحت
مضايقته ومحارسته، ثم السيطرة عليه واستعباده، واستغلال أراضيه. وقد أدى بهم
هذا الحقد الى أن يكونوا في صف اليهود الاعداء الالاء للحس العربي.

وهذا استعمار روحي، ساد في بعض المناطق العربية كالسمر ونحوها. قد حذر
الشعوب بمحدرات الارث، بدعوى أن الامراء يحذرون من سلاله مريفة، وهم بذلك
أحق بالحكم من غيرهم. يضاف الى ذلك فساد في العقيدة، واستلام للتفكر في
قابلية للاستعمار.

طوف الافغاني كثيرا من البلدان الاسلاميه، ثم بدا له أن يسفر من مصر الى
ظهر له فيها من معالم التقدم، ودلائل الاستقلال، اذ كانت مصر على عهد الخديوي
تخطو نحو التفتح والاستقلال من الحكم العردي الى الحكم الساسي. ثم ان مشاة عدا
من السوريين الذين برحوا اليها، وهم من عليه. القوم فكرا وساطا. وفيهم من
للتطور.

نظر جمال الدين الى الشعوب العربية والاسلاميه فوجدها مفرقة، فقام
دائها في انبها ((اختلعت على الاتحاد، واتحدت على الاختلاف)) وهو
العبارة التي جاءت على لسان ابن خلدون بانفاذ أخرى وهو قوله: القوم العرب
على أن لا يتفقوا) كأن هذا الحس العربي في العصرين: عصر بر حسيور وعصر
الافغاني ليس ذاك الحس الذي دوح امما في القرن التاسع والعاشر الميلاديين.

سعى جمال الدين الى جمع كلمه هو لا، الصفر في تحت نوا السمر موحدة
ليحاربوا به الدول الاستعماريه في كل مكان.

لمصر جمال توفيق قبل أن يتولى الحكم في مصر، وأعجب كل بالآخر، ووعد
توفيق الأفغاني بأنه سيكون حليف الشعب المصري، منى آلت إليه السلطة. حدث
في هذه الأونة أمران هامان، كان لهما تأثير سيء على سير الأحداث، وعلى آمال
الأفغاني.

أحدهما: أن توفيق أعلى عرش مصر، خلفا لاسماعيل المخلوع ولكن توفيق
ما كاد يتولى السلطة حتى سكر لمبادئه التي كان قد تظاهر بها أمام الأفغاني،
وبذلك يكون قد أحلف وعده.

ثانيهما: قامت الثورة العراقية ولكنها أحمدت وبركت آثارا سيئة على الوضع
السياسي في مصر، وكانت السبب الرئيسي لدى الانجليز للتدخل في الشؤون
المصرية.

وكان الأفغاني يود أن يسبق فاده مصر من سياسيين وعسكريين خطتهم حتى
لا يضلوا ويسارعوا كما يود الأعداء.

لم يحج الأفغاني مع الحواص على مختلف المسئوليات، فاحه الى الشباب،
فوجد فيهم رغبة صادقة في السير معه فدما لليهود بالامة العربية والاسلاميه،
نفس حيرا. ورأى أن أحسن وسيلة لتحقيق مآرب المسلمين أن يجمعهم تحت
لواء جامعة اسلاميه.

الجامعة الاسلاميه

بعد أن جمال الدين الأفغاني سحدر من أفغان وهي دولة اسلاميه، ورأى أن
العرب الاولين لا يعرفون بين مسلم وأخيه المسلم وأن العرة لهم جميعا منى سادوا،
والدليل لهم جميعها منى استضعفوا. وأن الذي يفرق بين مسلم وآخر بدعوى أن
هو عربي، وهذا أعجمي، إنما بدعوى الى السعويه التي مر بها العالم الاسلامي في
عزوب متعددة بسبب الاحداث التي كانت تجري آنذاك.

حينئذ هذه السعويه أمام العباسيين، حيث عزه العصر العربي تومند. وهل
مجدد منى بعض الكندي في عصر الأفغاني؟ الحواب بطبيعة الحال بالنفي. وادرس
في لاسبق المسجون جميعا من أقصى الشرق الى أقصى الغرب ليكونوا وحدة متعاسكة
تستعمل بها ضد أي قوى أخرى أحسنه مصر حصة.

لا بد أن الحركات المتحررة في افغان وبنشاطه السياسي، ومبادئه الاسلاميه
في جامعة في اسيا، جامعة اسلاميه آنذاك. معناه: خروجهم من الهند
والعراق الى اسطره في الدول العربية في منطقة الشرق الاوسط. فكان رد فعلهم

أن أوحوا الى بعض الطوائف العربية ناسا، الجامعة العربية بدعوى تحرير من
الأتراك العثمانيين. هذا في الظاهر، أما الحقيقة، لتكون الجامعة عربية مذهب
للجامعة الاسلاميه التي يدعو اليها الأفغاني.

على الرغم من المساعي الحسنة التي كان يبذلها الانجليز في اسيا، حيث
عربية، فإن هذه الجامعة لم تظهر للوجود الا عقب الحرب العالميه الثانيه. ثم
أسست جامعة اسلاميه في الهند سنة ١٩٠٦ ورأسها الرعم محمد علي جناح
ويعت منها من روحه فاداة دولة اسلاميه تبرز للوجود سنة ١٩٤٧ من دولة
الباكستان العنقه (١)

في الوقت الذي كان جمال الدين الأفغاني يدعو الى اسيا جامعة اسلاميه
كان الانجليز يدعون الى انشاء دولة يهوديه في قلب الامة العربية.

وفي سنة ١٩٤٧ نادى محمد علي جناح باستقلال باكستان، وفار باسمه وأمنه
المسلمين هناك في الهند، فلم يلبث الانجليز الامده قصير، فاداهم ساعدون
اليهود لتعلنوا عن قيام دولة اسرائيلية في سنة ١٩٤٨ وفي قلب الامة العربية.

كان الأفغاني يدرك تمام الادراك أن الانجليز يكرهون الحرس العرب
والاسلامي على حد سواء، لذلك كان يحذر منهم ويخشى من محادتهم عليه
حربصون كل الحرص على التكتيل بالممالك الاسلاميه، وعلى التهامها واحدة بعد
الآخرى، وهم لا يترددون أمام أية وسيلة من الوسائل، ولا يحرمون أي منه من
المبادئ إذا أرادوا تحقيق مآربهم، وأكثر ما يعتمدون في ذلك على اصطناع السر
والخداع، والمحايلة، حتى يظفروا لانفسهم أو لقوم سواهم خيرا من ربح
المسلمين)) (٢).

يمثل هذا القهم كان الأفغاني يهيم الانجليز، ومع ذلك فقد مر هو
في استطاعتهم أن يحالوا عليه ليحلقوا منه عملا لهم من التور. ثم ظهور
الحركة المهدية بالسودان سنة ١٨٨١/١٨٩٩ لمقاومة الانجليز الانجليز
والاستقلال بالبلاد تحت ظل الوحدة الاسلاميه من سطر التور. ثم ظهور

(١) انظر الموسوعة العربية المصرية (جامعة)

(٢) العروة الوثقى، ص ٢٦

أرى ساسه انجلترا ان داء الثورة المهدية الاستقلالية يمكن معالجته بداء من نوعه فاستدعوا جمال الدين وقالوا له : ((تصورنا ان نرسلك الى السودان بصفة سلطان عليه فتسأصل جدور فتنة المهدي وتمهد لاصلاحات بريطانيا فيه)) (١)

رفض الافغاني الاقتراح البريطاني، لانه يعلم خفايا القوم من جهة، وهو مع الثوار اين كانوا من جهة أخرى وخاصة اذا كانوا من المسلمين واسلاميين، والسودان مسلم وحركته اسلامية.

عجز الانجليز عن الافغاني، فراحوا يطاردونه بواسطة عملاء م في كل مكان، حتى أصبح في سطر النفعيين من المعضوب عليه.

سمع الخديوي بان جمال الدين قد أكثر من بلعش الشباب مبادئ الثورة على المستعمرين وادنائهم، وكان الخديوي يوفق هو نفسه يعرف ثورة الافغاني على الاوضاع السياسية السائدة، وكان لا يزال يذكر وعوده له بأنه سيكون مع الشعب متى ارتقى عرش مصر، ولكنه ما كاد يتولى السلطة ويسمع بنشاط الافغاني حتى أمر بطرده ثم طرده. قال محمد عبده (لاريب في ان الانزعاج بنفي جمال الدين كان عاما، والكدر كان تاما، ولكن الخديوي أظهر سروره بما فعل، وتحدث به في محضر جماعه من المنايع على مائدة الافطار في رمضان، فأظهر الطرب بذلك من كان لا يعرف لبعده في العلم، والفضل في محضر الشيخ جمال الدين، والزمت الحرائد بنشر الامر الصادر بالنفى والتفريع الشديد بما لم يكن يستحقه الرجل، كما انه كان فيه تسع خارج على من كانوا يجتمعون عليه، فنشره البعض، وأبى احدى الحرائد نشره، فعطلت) (٢).

الفصل الثاني : العروة الوثقى.

ابعد الافغاني من مصر الى الهند، وسيق عليه بامر الانجليز ومكت مدة الى ان قصي على الثورة العراقية في مصر، ودخلها الانجليز، عمدت سمح له بمغادرة الهند على ان لا يبقى في الشرق. وفي هذا الوقت كان محمد عبده مبعيا في سجون سجنه اشتراكه في الثورة العراقية.

(١) العروة الوثقى، ص ٣٥

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢

كانت الافغاني محمد عبده ليوافيه في باريس على أمل ان يقوم بمساعدة من نوع آخر لفائدة المسلمين جميعا. ففرق فرارهما على انشاء مجلة العروة الوثقى تكون الوسيلة الى توعية الانسان المسلم فيعرف ما عليه من واجبات وما له من حقوق والاسباب التي جعلته في يوم ما قويا، وصيره اخيرا سبب المعرط فيها صعد، الى جانب تقوية الروابط الروحية بين سائر افراد الامة الاسلامية.

صدر من المجلة ثمانية عشر عددا في مدة ثمانية شهور كان اول عدد منها في سنة ١٨٨٤، وآخر عدد في ١٧ أكتوبر من نفس السنة.

تعاون كل من الافغاني ومحمد عبده على نشر الحريضة، فكان الاول يدرج آراء وافكار، وكان الثاني يصوغها بأسلوبه، وكان ميرزا محمد باقر باقوسها حتى يطلع عليه في الحرائد العالمية وله علاقة بقضايا العرب والمسلمين، وكانت المجلة تكتب الى أماكن معينة، في سائر الافطار الاسلامية، لمورع على المجلة تصفحه بخير مقابل.

ولما أخذت المجلة تغزو العقول في كل بلد وأدرك الانجليز خطرهما معها من الدخول الى البلدان التي تحت ايديهم، وأوعزت الى الحكومة المصرية لتسبب من يقروها من الاحرار الذين ترسل اليهم، فكان ان استجابت الحكومة المصرية لدعوة الانجليز ((فحددت عقوبات لمن يضط متلبسا بحريضة فرائدها)) وسهده الطرق التعسفية بوقف المجلة، ولكنها تركت آثارا في نفوس المسلمين جميعا، في مشارق الارض ومغاربها.

الافغاني وربنات :

انصل الافغاني بربنات فيلسوف فرنسا وأوروبا، وأعجب كل واحد منهما بالآخر، مع اختلافهما في عدد من المسائل، أهمها ما يتعلق بالامم الشرقية، ومنهم المستعمرين والامم العربية، ومنهم : الاوربيين. اد يرى ربنا : (ان العصر الاوربي هو عصر الاسياد والجنود، ولهذا فان حمل هذا العصر السيل على العقل كم عصر لشرقى، يدفعه الى الثورة، وذلك لان كل شاعر عبدا، انما هو خديو به سواد رسالته، لانه مخلوق وجد ليحيى حياة البطولة، فاداه به عصر عصر الضعف فحيث لا يبق وعصره، فهو عامل قاتل، وان كان عبدا بالاعمال، غير ان العبادة لا تكون عيشها عماليا، بحمل الخرمي والفلاح بعبس، وهما كاشفان لم بعبادة مصر، فبعبده كل ما بنا خلق له، ففسر الامور عمدت على انه وجه (١٢).

(١) العروة الوثقى، ص ٣٤

(٢) المصدر السابق، ص ٧

ان هذا التفكير كان سائدا في اواخر القرن التاسع عشر. وهو التفكير الذي كان سائدا امام سقراط وأرسطو. وهو التفكير الطفلي، وسببه في العصور الاولى ان طبعه العبد لم يستطيعوا ان يكسروا الاعلال التي علت بها اعبائهم. لجهلهم أولا. ولنعوذهم هذا النوع من الحياة ناسا.

أما في القرن الماضي فكان سبب هذا الشعور يرجع الى ما سمي (عابلية للاستعمار) فالسعوب العرسه والاسلامه كانت مسعده لتقبل الاستعمار. وهذا ما يؤكده مالك بن نبي في كتبه. ولم يحدد الاسباب. وأراها تتمثل في الحياة القاسية التي مر بها كل شعب من هذه السعوب.

والذي يستعرض الاحداث التاريخية يجد ان الاحصاع والادلال بدأ اول ما بدأ من الحلفاء والامراء، والسلاطين، والملوك. فكان طبعها ان تجد الاستعمار هذه السعوب مهناه لان تقبل استعمارهم. وكأنها استبدلت استعمارا باستعمار.

هذا التعليل لم يقطع اليه مالك بن نبي. وأراه حقيقة. ومعنى هذا ان السعوب الاسلاميه تحت علمها ان تلقى اللوم على الاعداء الذين هم من حسنها لا الذين عروها من الخارج بعد الذي نالها من سياط الطغاة المسلمين والعرب.

وربما نجد لم يقطن الى مصدر الضعف في المسلمين. ومصدر القوة في الاوربيين.

قد كانت أوروبا ضعيفة. والاسان فيها عند. والسبب يرجع الى ساسة أوروبا آنذاك. فهم استضعفوا رعاياهم. حتى الفت حياه الدل والعبودية. ولما استيقظ الشعب وأزال عن نفسه سمة العبودية أصبح عندهم حديا باسلا. أما قبل ذلك، فهو شعب المسلمين في عصره.

كما ان ربان احطوا حين رعم ان المؤرخين تسرعوا في الاحكام حين افروا للعرب بالعلوم والعمور والتمدن. والفلسفة. وذهب الى ان الاسلام لا يتسع على (العلم). فاستبدت الحرب. بل هو عائق لها. مما فيه من اعتقاد للعبثيات. والاسان التام بالعماء والعدو. ومن اشغل بالفلسفة من المسلمين. او كان في حمايد خليفة او أمير مؤمن في الظاهر غير حاد في الفكر. ومع ذلك فما وصل اليه هو، لا في الفلسفة ليس له قيمة كبيرة.

والفلسفة التي أحدها الاوربيون عن المسلمين في الساسة كانت فلسفة الرحمة. مشوهة الاصل. لم يسعد منها أوروبا الفائدة الحقة لا بعد رحمة. حدة جديدة من ماعها الاصل (١).

والذي سامل هذه الافكار التي أغشها ربان حدها مسامحة. من جهة ان المسلمين اشغلوا بالفلسفة. ومن جهة أخرى يقول ان الاسلام ضد الفلسفة. وأغرب من ذلك انه يثبت الاعتقاد العمي وما حصل به الى الاسلام. وهذا حد آخر. وكأنه لا يعرف بين الاسلام والمسلمين. أما ان المسلمين قد سجدوا للمبادئ الاسلاميه الصحيحة. فبعم. أما ان الاسلام غائق فلا.

ومع هذه السهجات على الاسلام، فان ربان يعرف صراحة بان هناك من يكمن في الاسلام. يؤثر في السعوس. ويفعل فيها فعل الشر. وفيه عابلية ومادى عالية القيمة. رفيعه المقام. وما دخلت في حياتي محدا من مبادئ المسلمين. لا عبرت بحادثة نحو الاسلام. بل ناسف الا اكون ملما (٢).

رد الافغاني على ربان في هذه النظرية ردا ليس لدى حظيرته. بل كمر لرده صدى السباب الاسلامي المحمدي. وأهمل رده. فله سر في حركه. ولم يرحم.

الرد على الدهريين

في هذا الوقت الذي كان الافغاني يدعو الى محاربة الاستعمار ونحوه ظهرت فكره الدهريين الذين انعموا في الماديات الى الادغال وحسرو روحهم لفكرهم من مختلف البلدان. وخاصة الشباب.

خاف الافغاني من هذا الداء العفال الذي أخذ يشرى في جميع ارجاء العالم كالسرطان. فظهر له وهو بالمعنى في الهند ان مؤلف رسالة يدور فيها حول التي نصبت الامم المعقسه في الطغاب. وسمى المنز المعقسه التي هي في الحقيقة لبقاء الامم ما نصبت تلك المنز المعقسه. والبرهان وان كانت بحسب حركه خاصا الا انها تشمل على موضوعات مختلفة. ومختلفة. ومختلفة.

(١) رعماء الاصلاح. ص ٨٦

(٢) المصدر السابق. ص ٨٦

ومما جاء في الرسالة رده على مذهب " درويش " الذي يرى أن الانسان كان فردا ((تم عرض له التفتيح والتهديت في صورته بالتدريج على سالي القرون المظلمة، وسائر الفواعل الطبيعية الخارجية حتى ارتقى الى برزخ (أوران أوتان) بعد ارتقى من تلك الصورة الى أول مراتب الانسان، فكان صنع التميم وسائر الروح، ومن هناك عرج بعض امراة الى أفق أعلى وأرفع من أفق الرحيين، فكان الانسان العوقاسي ((١)) .

رد الاعقاسي على هذه النظرية قائلا : (وعلى زعم درويش هذا، يمكن أن يصير البرعوت مثلا، مرور القرون، وكر الدهور، وأن سفلت العقل برعوتا كذلك) (٢)

ثم انتقل الى الاشجار والاسماك، والحيوانات، تحدث عن اختلافها مع أنها في مكان واحد، وأن درويش لو سئل عن السبب لعجزه.

خاتمة المطاف

عاصر الاعقاسي حكاما مستدين، ونظريات مادته خطيره، فحاول أن يصلح من شأن الحكام وأن يسن النظريات الفاسدة، فصح في حياته بعض النجاح، ولكنه حقق كل النجاح بعد مماته . .

انصل الاعقاسي شاه ايران وحادثه ملما ثم اقترح الشاه على جمال الدين أن يجمع بين ايران ليعملا معا على الاصلاح، فقبل جمال الدين هذا الاقتراح بعد تردد، ولكن ما كاد يحطو خطوة حتى اكفر الحو ((وأندر بالصواعق، فقد وسوس الصدر الاعظم للشاه: أن الحكم الساسي سلبه سلطانه، والنظام الاداري والقانوني المعرج أعلى من مستوى الشعب ((٣)) .

احلف الشاه وعده، واحسن الاعقاسي بالخطر، فخرج الى صريح ((عبد العظيم احد حفيد الامم . . . والعرض يعدون مقامه حرما من دخله كان آما، اتخذ السد مركزا لدعايته وخطبه وسهيج الراي العام لطلب الاصلاح ((٤))

كان الناس على اختلاف مناصبهم يحجون الى هذا الصريح مستمعين من الاعقاسي ما جعلهم يقومون بما أربب الشاه، فهدده مسورات، وهذه دعايات، وهذه رسائل احتجاج تصل الى الشاه تطالبه بتطبيق العدالة الاجتماعية، والسحب عن الحكم .

(وما راع السيد الاحمائه حدى مسلحون سحجون عنه غير جافين حرة السح عند العظيم، ولا مرض السيد مرصا شديدا ((١)) .

انعد الاعقاسي من ايران فاجده الى العراق، فليدن، وأحد بولت الناس على ساسه الشاه، فحافه كما حاف منه السلطان عبد الحميد، فأوعر التي من حجب به الدهاب الى الاستانة ليعقد آراءه في الاصلاح، فقبل الاعقاسي ((وما أن وضع قدمه في الاستانة حتى كان في قبض من ذهب أحكم يامه، لقد وعده السلطان أن يحرره الخروج من الاستانة اذا شاء، ولكن كان كل ذلك حذعه ((٢)) .

وفي هذه الاناء، هاجم أحد الشبان الارمن من ستمد على الاعقاسي على شاه ايران، وطعنه وهو يقول: " حدها من جمال الدين فرباع عند الحميد بغير الشاه، ويصق على جمال الدين .

وأخيرا أصيب الاعقاسي بمرض السرطان في فمه، وموت بسبب ذلك وبسبب أصابع الاتهام الى السلطان .

(١) رعماء

(٢) رعماء الاصلاح، ص ٨٦ وما بعدها .

(٣) المصدر السابق

(١) كتاب الرد على الدهريين، ص ٤٢

(٢) المصدر السابق، ص ٤٢

(٣) رعماء الاصلاح، ص ٨٦ وما بعدها

الباب السابع

الحركات الدينية

الفصل الاول : الحركة الوهابية .

في أوائل القرن الثامن عشر بدت بويا الاستعمار التوسعية تظهر للعلن . وسعر العرب بخطرهما ، وأدركوا في نفس الوقت أن لا قبل لهم بقوة العرب . لأن الساسة الدس سيدهم معاليد أمورهم كانوا من الأتراك . وهو ، لا ، سبكتهم الحروب الكثيرة التي كانت تدور رحاها . مد أن تولوا قيادة الأمم التي حكموها . وفي هذه الظروف الحالية سأت حركات دينية معتتها جمع شمل الأمة العربية الإسلامية . والدفاع عنها ، وعن نراسها الفكرى والروحي .

وأهم هذه الحركات اثنتان . أحدهما في المشرق العربي ، وبنوعها محمد بن عبد الوهاب : مشي ، المذهب الوهابي . والحركة الساسية : في المغرب العربي . ورعتمها محمد بن علي السيوسي . ظهرت الحركة الوهابية في حد علي يد محمد عبد الوهاب ، وهي تقوم على : الكتاب ، والسنة ، وكل ما لا أصل له سبها بعد بدعه . كزياره القبور للتترك ، بدعوى أنها لأولياء الله الصالحين . على هذا الأساس هدم الأضرحة ، وما سبها كالفائم من القبور .

نادى محمد بن عبد الوهاب بهذا المذهب ، ووحد في أول الأمر معارصكسره . لأن الناس القت البدع ، والحياة الهامشية ، وظنوا أنها الحناء الإسلامية الحققة . فكرر بحريتهم لمبادئ أس عبد الوهاب ، ووحدوا في الخلافة العمانية سدا .

سارع سلاطين آل عثمان إلى إخماد نار الفسنة التي أعلتها الأفكار الوهابية في كامل الجزيرة العربية ، وكلفوا محمد علي أن يقوم بأخمادها قورا . ونكر محمد علي بفاعس لأمر في نفسه فادا الوهابيون سبصرون عسكريا على قنوز البحور العمانية بعد أن عدوا الأفكار .

بعد المماظلة الطويلة التي قام بها محمد ادعس للإساسة وبعد حصار حرر إلى الجزيرة العربية ، فادا هذا الحس لم يحق ما كان يرحوه سلاطين آل عثمان على الرغم من أنه انتصر في كسر من المواقف .

فلم تكذ تاتسي سنة ١٩٢٤ حتى أصبحت الجزيرة العربية بدس راسمة . الوهابي . والمتصفح لتاريخ هذه الحركة يجد أنها مرت بعدد كبير من المراحل .

جميع الحركات الحديدية التي لم تألفها العقول. فقد كان المسلمون في كل مكان يسطرون اليها نظرة استياء، وكأنها دعوة لتحطيم الاسلام من اسسه. لذلك كانت الدعاية تقوم في كل مكان ضد الحركة الوهابية.

ولكن الذي حدث ان انتصرت الحركة الوهابية على الرغم من مقاومتها بجميع الاسلحة، لان هذه الحركة كانت تنادي بان الاسلام لا يعود الى اصله الا اذا حدد على ما يبي عليه من دعاية سلمية أولا، ثم اذا لم تنجح الدعاية استعمل السيف لحماية المبادئ.

وعلى الاساس انطلقت الحركة الوهابية من مغلها الى ان انتصرت بعد جهاد طويل. واثرت انتصاراتها كانت تعتقد ان الاسلام الحقيقي هو هذا الذي يسود منطقة جزيرة العرب في الوقت الحاضر. أما ما عدا ذلك فهم كفار، ودارهم دار حرب.

وبلاحظ ان الحركة الوهابية كانت في اول الامر ترى ان الفهوة حرام، ولكنها ما لبست ان اباحتها. كما أصبحت تنظر الى الدين يسكنون خارج الجزيرة العربية نظرة اسلامية، والسيف ان المدينة الحديثة أثرت في جميع العقول، بحكم الاحتكاك المباشر بين سائر الدول، وبحكم وسائل الاتصال، وسرعة المواصلات...

الفصل الثاني : الحركة السنوسية.

هي حركة دينية تقوم على : الشقيف والجهاد. أسسها : محمد بن علي السنوسي الادريسي المولود بمسنغام سنة ١٧٨٧.

طاف السنوسي كثيرا من البلدان العربية : مغربية، ومشرقية. ثم فر فراره في واحة (جعبوب). قبل ان يستقر به المقام في جعبوب كان قد شيد زاوية في جبل الاحمر. بعد نواة لعدد كبير من الروايات التي أنشئت بعد موته، وانتشرت في المغرب الأقصى الى الهند، الى الصحراء الكبرى.

بعد موته حلقه ابنه محمد المهدي. وقد نشط هذا الابن كثيرا، في توسيع عدد الروايات حتى وصلت الى ثلاثمائة زاوية. وفي سنة ١٩١٥ تولى زعامة الحركة السنوسية ادريس السنوسي الذي أصبح بعد استقلال ليبيا سنة ١٩٥١ ملكا عليها.

اكتسب ادريس السنوسي شعبية كبرى قبل ان يتزعّم الحركة الدينية، ذلك ان الايطاليين كانوا هاجموا ليبيا سنة ١٩١١ وأرادوا احتلالها بقوة السلاح، فكان

ان تجند الشعب الليبي تحت عدد من الرعما، والروما، ومنهم ادريس السنوسي الذي لعب دورا هاما في الجهاد ضد الايطاليين. وبعد الحرب اعادت ليبيا انصب ايطاليا من ليبيا لانها خسرت الحرب كما خسرتها جميع الدول.

لم يصل ادريس السنوسي الى هذا المنصب الا بفصل ماضيه وماضي ابيه، وبفصل الشهرة التي كان يتمتع بها السنوسيون في العالم العربي فقد كانوا موضع مساومة مرة، وموضع اغراء مرة اخرى.

فكم مرة اشاع المستعمرون على اختلاف احاسيم بان الحركة السنوسية مساوية للخلافة العثمانية، مع ان الحركة السنوسية كانت حركة دينية محضة. وكم مرة يتقدم الماسا الى السنوسيين ليساعدوها على زحرجة فرنسا من افريقيا لاحتلالها، وكأنهم احسن منها. وما دروا ان لا فرق بين استعمار واستعمار، ولذا رفض السنوسيون مقترحات الماسا من اساسها، وهي مقترحات طاهرها الرحمة، وبخاصة الاستعمار الدائم.

حدث هذا في سنة ١٨٧٢ اثر استثمار ألمانيا على فرنسا في سنة ١٨٧١. كان ألمانيا باستثمارها آتداك على فرنسا شعرت بعظمتها. وبطبعه الحال ان الشعور بالعظمة يوحي بالهيمنة المطلقة، وكان الشعوب الافريقية وجاها شمال افريقيا بعد شعاع وتشعري.

ومثل هذا حدث من تركيا. بل حدث أيضا من إيطاليا. ففي سنة ١٨٧٦ وصلت تركيا من السنوسيين ان يساعدوها ليفتوا جميعا ضد الغزو الفرنسي لليبيا. رفض السنوسيون مطالب هذه الدول جميعا، لانهم يدركون انها على اختلاف احاسيم لا تعمل الا لصالح اسائها، وحتى الدولة العثمانية التي يرتضيم بها رضى سنة لا يرون فيها السلاح الاسلامي الحاد الذي يصر على الاعداء. فهذه مصر وأمراء وروما، وعلماء، ولكنهم جميعا لا يريدون على ان يكونوا كقصة من قصة الذي لا راعي له (١) لانهم لا دستور لهم.

أدرك السنوسيون ان الاسلام لا يتصور الا على يد المستمير المحمدي الذين يستوحون مبادئهم من القرآن والسنة. (٢) فطر هذه المقامات. وعمل محمد علي السنوسي، على بناء موه عرسه من صحراء ليبيا. فهو المستمير المحمدي.

(١) الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا. انور الهمادي. ص ١٠٠.
الدار القومية - القاهرة ١٩٦٥.

أساس الروايات المسيرة، ويعد لتطوق العالم الاسلامي كله، الى السودان، الى غرب
 و اواسط افريقيا، الى صحراء ليبيا، الى مصر، الى مكة... على نحو يحمل صورة الطرق
 الصوفية، ولكنه يعتمد أساسا على المفاهيم السلفية المتحررة (١) عودة الاسلام
 الى منابعه الاولى (٢) تطهير العقيدة من ادران البدع والخرافات (٣) توحيد
 المذاهب، وجمع العالم الاسلامي على وحدة حقيقة (٤) فتح باب الاجتهاد
 (٥) نشر الاسلام في البلاد التي لم ينتشر فيها (٦) مقاومة النفوذ الاجنبي (١).

الباب الثامن

روافد النهضة العربية، والمراسلات السياسية

الفصل الاول : روافد النهضة العربية الحديثة

قامت النهضة العربية الحديثة على عدد من الروافد، بعضها قدم ورثا
 عن تراثنا الاصيل، وبعضها الآخر حديث استوردناه من الغرب.

تتجسد الروافد الاولى في المعاهد الدينية التي حافظت على لغتها، وخاصة
 العربية، مثل جامع الزيتونة بتونس (١) وجامع الازهر بالقاهرة (٢) وجامع القرويين
 بالمغرب الأقصى (٣)

اما الجزائر في هذا العصر الذي توارثه فقد كانت فيه وسائل النهضة مواضع
 لاسها قاصرة على بيوت العلماء، والمساجد والروايات. ومن ثم فقد كان التعليم ضعيفا
 اما الروافد الثانية، فكثيرة.. مثل: الطباعة، الصحافة، المدارس، الجمعيات،
 النوادي المختلفة، وخاصة النوادي الثقافية. يضاف الى كل ذلك المنشرون،
 والوسائل السمعية والبصرية...

الطباعة والصحافة

ساهمت الطباعة في بعث النهضة العربية الحديثة، بما نشرته من الكتب من
 مختلف العلوم والفنون، سواء ما كان معروفا قديما، أو ما ترجم حديثا. وبذلك
 فتحت الاديان من جديد، واطلع العرب المحدثون على الكور السنية التي تركها
 الاقدمون من أساء العروبة والاسلام، كما اطلعوا على كبر المعاصرين من
 العرب، وراوا في كتب هؤلاء، وأولئك ما جعلهم يدركون ان هناك طرفا صحيفا
 للتعبير عنهم غير الذي كان معروفا عن العلماء المتعلمين الذين كانوا يصورون
 ان الادب الحقيقي يقوم على الركبة والرحمة والسجع المصطنع.

لعبت الصحافة دورا كبيرا في تهذيب العقول ومن رفع المستوى الثقافي في
 في احداث نهضة ادبية وعلمية، وفي غرس المبادئ السامية في النفوس، من
 الحرية، والنداء بتحرير الاوطان، وتحرير المرأة... ويوحده الامة العربية وتوحد
 في وجه الاستعمار، والتعاون...

(١) العهد، والثقافة المعاصرة من شمال افريقيا، انور الحمدي ص ٢١ - ص ٢٢
 (٢) العهد، والثقافة المعاصرة من شمال افريقيا، انور الحمدي ص ٢١ - ص ٢٢
 (٣) العهد، والثقافة المعاصرة من شمال افريقيا، انور الحمدي ص ٢١ - ص ٢٢

(١) اشياء عند الله من الصحاح (٧٣٢) - (٢) اشياء جوهرة الصحاح
 (٣) اشياء في فاس (٨٥٩ م)

كل هذه الموضوعات طرقتها الصحافة ثم تبناها زعماء كبار، ناضلوا في سبيل المبادئ التي آمنوا بها، كل حسب جهاده. فهذا في الميدان السياسي أو العسكري وهذا في الميدان الاصلاحى أو الدينى... وما من ميدان الا على رأسه زعيم، ثم جاء دور الكتاب والشعراء ليناصروا بعض القضايا الوطنية العادلة، فاذا النهضة العربية تشق طريقها، وتسعى جاهدة لتلتحق بالركب الحضارى في كل ميدان. وينتظر في القريب العاجل أن تسابق غيرها من الأمم المتقدمة، فتسبقها.

الفصل الثانى : المراسلات السياسية

دارت مراسلات بين مكماهون ممثل التاج البريطانى، وبين شريف حسين امير مكة، وذلك في سنة ١٩١٥ والحرب العالمية الاولى قائمة على قدم وساق، وانجلترا تضم اقطارا لاتغيب عنها الشمس ومنها مصر.

نكتفى بذكر مذكرتين احدهما تمثل التفكير الانجليزى آنذاك وكاتبها ممثل بريطانيا في مصر، وهو مكماهون، والرسالة الثانية تمثل التفكير العربى، وكاتبها شريف حسين امير مكة. والرسالتان تعدان نصوصا تاريخية، ولذا فاني انقلهما نقلا دون تحليل أو تعقيب.

((مذكرة السير هنرى مكماهون الاولى الى شريف حسين، القاهرة في ١٩ نوال سنة ١٣٣٢ (٢٣٠٢ ب - اغسطس - سنة ١٩١٥.

الى السيد الحبيب النسيب، سلالة الاشراف، وتاج الفخار، وفرع الشجرة المحمدية، والدوحة القرشية الاحمدية. صاحب المقام الرفيع، والمكانة السامية، السيد ابن السيد، والشريف ابن الشريف. السيد الجليل المجل دولتو. الشريف حسين. سيد الجميع. امير مكة المكرمة. قبلة العالمين، ومحط رجال المؤمنين الطامعين، عمت بركته الناس اجمعين.

بعد رفع رسوم وافر التحيات العاطرة، والتسليمات القلبية الخالصة من كل شائبة، نعرض: ان لنا الشرف بتقديم واجب الشكر لاطهاركم عاطفة الاخلاص، وشرف الشعور، والاحاسيات نحو الانجليز.

وقد يسرنا ملاوة على ذلك، ان نعلم، ان سيادتكم ورجالكم على راي واحد وان مصالح العرب هي نفس مصالح الانجليز. والعكس بالعكس.

ولهذه النسبة، فنحن نوكد لكم اقوال فخامة اللورد كنشير التي وصلت الى سيادتكم عن يد علي افندى، وهي التي كان موضحا بها رغبتنا في استقلال بلاد العرب، وسكانها، مع استصوابنا للخلافة العربية عند اعلانها.

وانا نصرح هنا مرة اخرى: ان جلالة ملك بريطانيا العظمى يرحب باسترداد الخلافة الى يد عربى صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة.

واما من خصوص مسألة الحدود والتخوم، فالمفاوضة فيها تظهر انها ساقية لاوانها. وتصرف الاوقات سدى في مثل هذه التفاصيل في حالة ان الحرب دائرة رحاها، ولان الاتراك ايضا لا يزالون محتلين لاغلب تلك الجهات احتلالا فعليا. وعلى الاخص ما علمناه - وهو ما يدهش ويحزن - ان فريقا من العرب القاطنين في تلك الجهات نفسها، قد غفلوا وهملوا هذه الفرصة الثمينة التي ليس اعظم منها وبدل اقدام ذلك الفريق على مساعدتنا نراه قد مد يد المساعدة الى الالمان. نعم مد يد المساعدة لذلك السلاب النهاب الجديد، وهو الالمان، وذلك الطام العسوف وهو الاتراك.

مع ذلك فانا على كمال الاستعداد لان نرسل الى ساحة دولة السيد الجليل، وللبلاد العربية المقدسة، والعرب الكرام، من الحبوب والصدقات المقررة من البلاد المصرية، وستصل بمجرد اشارة من سيادتكم، وفي المكان الذى تعينونه. وقد عملنا الترتيبات اللازمة لمساعدة رسولكم في جمع سفرائه البنا، ونحن على الدوام معكم قلبا وقالبا، مستنشقين رائحة مودتكم الزكية، ومستوثقين بعزى محبتكم الحالية سائلين الله سبحانه وتعالى دوام حسن العلائق بيننا.

وفي الختام ارفع الى تلك السدة العليا كامل تحياتي وسلامي، ومائق احترامى

المخلص : السير آرثر مكماهون
نائب جلالة الملك

مذكره الشريف حسين الى السير هنري مكماهون

بسم الله الرحمن الرحيم

مكة في ٢٩ نوال سنة ١٣٣٣ (٩ ايلول - سبتمبر - سنة ١٩١٥)

لصاحب السعادة والرفعة نائب جلالة الملك بمصر، سلمه الله:

بمريد من السرور والغبطة تلقيت كتابكم المؤرخ في ١٩ شوال وطالعته بكل احترام واعتبار رغم شعوري بعموصه وبرودته، وتردده فيما يتعلق بنقطتنا الاساسية. اعني نقطة الحدود.

واري من الضروري ان اؤكد لسعادتكم اخلاصنا نحو بريطانيا العظمى، واعتقادنا بضرورة تفصيلها على الجميع في كل الشئون وفي أي شكل، وفي اية ظروف. وحب ان اؤكد لكم ايضا ان مصالح اتباع ديارتنا كلها تتطلب الحدود التي ذكرتها لكم.

وبعدني فخامة المندوب اذا قلت بصراحة: ان " البرودة " و " التردد " اللذين صمهما كتابه فيما يتعلق بالحدود، وقوله: ان البحث في هذه الشئون، انما هو ارضاع للوقت، وان تلك الاراضي لا تزال بيد الحكومة التي تحكمها.

وبعدني فخامة اذا قلت: ان هذا كله يدل على عدم الرضا، او على النفور، او على شيء من هذا القبيل.

فان هذه الحدود المطلوبة ليست لرجل واحد يتمكن من ارضائه، ومفاوضته بعد الحرب، بل هي مطالب شعب يعتقد ان حياته في هذه الحدود وهو متفق ما جمعه على هذا الاعتقاد.

وهذا ما جعل الشعب يعتقد انه من الضروري البحث في هذه النقطة قبل كل شيء مع الدولة التي يتقون بها كل الثقة، ويعلقون عليها كل الامل وهي بريطانيا العظمى.

واذا اجمع هؤلاء على ذلك فانما يجمعون عليه في سبيل الحال المشترك. وهم يرون انه من الضروري جدا ان يتم تنظيم الاراضي المجزأة، ليعرفوا على أي اساس يوسعون حياتهم كي لا يعارضهم انجلترا او إحدى حليفاتها في هذا الموضوع مما يؤدي الى نسخة معاكسة، الامر الذي حرمه الله.

وفوق هذا فان العرب لم يطلبوا - في تلك الحدود - ما طمى يقطنها شعب اجنبي، بل هي عبارة عن كلمات والقباب يطلقونها عليها.

اما الخلافة فان الله يرضى عنها، ويسر الناس بها.

وان على ثقة يا صاحب الفخامة، انكم لا تشكون قط بانني لست انا حصيا الذي يطلب تلك الحدود التي يقطنها عرب مثلنا، بل هي مقترحات شعب باربر، يعتقد بانها ضرورية لتأمين حياته الاقتصادية، او ليس هذا صحيحا يا فخامة الوزير؟

وبالاختصار فاننا ثابتون في اخلاصنا، نصرح بكل تأكيد بتفصيلنا لكم على الجميع، اكنتم راضين عنا - كما قيل - او غاضبين.

اما ما يتعلق في قولكم بان قسما من شعبنا لا يزال يبذل جهده في سبل تأمين مصالح الانراك، فلا اظن ان هذا يبرر " البرودة " و " التردد " اللذين شعرت بهما في كتابكم، فيما يتعلق بموضوع الحدود، الموضوع الذي لا اعتقد ان رحلا مثلكم ثاقب الراي ينكر انه ضروري لحياتنا الادسية والمادية.

وانا حتى الساعة لا ازال انعد ما تأمر به الديانة الاسلامية في كل عمل اقوم به، وازراه مفيدا وصالحا لبقية المملكة، واني ساستمر في هذا الى ان يأمر الله في غير ذلك.

واود هنا يا صاحب الفخامة، ان اؤكد لكم بصراحة ان كل الشعب - ومن جملته هؤلاء الذين يقولون: انهم يعملون لصالح تركيا والمانيا - ينتظر بفارغ الصبر نتائج هذه المفاوضات المتوقفة على موافقتكم او رفضكم قضية الحدود، وقضية المحافظة على ديارتهم، وحمايتهم من كل اذى وخطر.

وكل ما تجده الحكومة البريطانية موافقا لسياستها في هذا الموضوع، فما علينا الا ان تعلمنا به وان تدلنا على الطريق التي يجب ان نسيرها، ولذلك نرى ان من واجبنا ان نؤكد لكم اننا سطلب اليكم في اول فرصة بعد انتهاء الحرب ما ندعمه الان لفرنسا في بيروت وسواحلها، ولست ارى حاجة هنا لان الفت نترككم الى ان خطتنا هي آمن على مصالح انجلترا، من خطة انجلترا على مصالحنا، ونعتقد ان وجود هؤلاء الحيران في المستقبل سيقلق افكارنا، كما يقلق افكارها.

وفوق هذا فان الشعب البيروتي لا يرضى قط بهذا الاستعداد والانزواء. وقد يضطرونا لاتخاذ تدابير جديدة، قد يكون من شأنها خلق متاعب جديدة، تفوق في صعوبتها المتاعب الحاضرة.

وعلى هذا لا يمكن السماح لعربنا بالاستيلاء على قطعة صغيرة من تلك المنطقة. وأنا اصرح بهذا رغم اني اعتقد واومن بالتعهدات التي قطعتموها في كتابكم. ويستطيع معالي الوزير، وحكومته ان يتقوا كل النقص باسلا لا يزال عند قولنا، وعزيمتنا، وتعهداتنا التي عرفها مستر ستورس منذ عامين. ونحن نتظر اليوم الفرصة السانحة التي تناسب موقفنا، وخاصة فيما يتعلق بالحركة التي اصبحت قريبة والتي يدفعها اليها القدر بسرعة ووضوح، لنكون حجة - نحن والدين يرون رأينا - في العمل ضد تركيا، ودون ان نتعرض للوم والنقد. (١)

فهرس

الصفحة

الموضوعات

3	الباب الاول : ما قبل النهضة
3	الفصل الاول : المشرق العربي
8	الفصل الثاني : مصر قبل النهضة
11	الباب الثاني : المغرب العربي
11	الفصل الاول : لمحة تاريخية عن المغرب العربي
15	الفصل الثاني : الجرائر في التاريخ
23	الباب الثالث : عصر النهضة
23	الفصل الاول : الحملة الفرنسية على مصر
25	الفصل الثاني : العرب والاستعمار في القرن التاسع عشر
27	الباب الرابع : رواد النهضة
27	الفصل الاول : رائد النهضة في مصر محمد علي
37	الفصل الثاني : رائد النهضة في الجزائر الامير عبد القادر
47	الباب الخامس : الحركة الاصلاحية
47	الفصل الاول : خير الدين التونسي
52	الفصل الثاني : مدحت باشا
59	الباب السادس : الحركة الاسلامية
59	الفصل الاول : جمال الدين الافقاني
62	الفصل الثاني : العروة الوثقى
69	الباب السابع : الحركات الدينية
69	الفصل الاول : الحركة الوهابية
76	الفصل الثاني : الحركة السوسية
73	الباب الثامن : روافد النهضة العربية والمراسلات السياسية
73	الفصل الاول : روافد النهضة العربية الحديثة
74	الفصل الثاني : المراسلات الانجليزية العربية
79	فهرس الموضوعات
80	فهرس المراجع

(١) مجلة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، تأليف جورج انطونيوس، ترجمة الدكتور: ناص الدين الاسد - والدكتور احسان عباس، دار العلم - بيروت ط ٢ - ١٩٦٠ - ص ٥٤٨ وما بعدها.

المراجع

- الدولة الإسلامية : العبادي - زيادة - العدوي
تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ جرجي زبدان
الموسوعة العربية : جماعة من المؤلفين
تاريخ الطبري ج ١١ الطبري
حرب ثلاثمائة سنة : احمد توفيق المدني
ظهر الاسلام : احمد أمين ج ١
المعاليك في مصر
حضارة العرب : لوبون - ترجمة زعيتر
تاريخ الجزائر : عبد الرحمان
الموجز في تاريخ الجزائر : يحي بوعزيز
في الادب الحديث : الدسوقي
البعثات : طوسون
تاريخ مصر الاقتصادي : محمد فهمي
تاريخ مصر الحديث : محمد عبد الرحيم
نكبات الشام : مجهول
الساق على الساق : احمد فارس الشدياق
الاصالة : س ٥ عدد ٣٨
الحركة الوطنية الجزائرية : سعد الله
رعاة الاصلاح : احمد أمين
العروة الوثقى : دار العرب
الرد على الدهريين : الافغاني
الفكر والثقافة المعاصرة : انور الجندي
يقظة العرب : انطونيوس، ترجمة الاسد / احسان عباس
-

انجز طبعه على مطابع
ديوان المطبوعات الجامعية
٢٩ نهج أبو نوّاس، حيّدة
الجزائر العاصمة